

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

أقوال علي بن زايد

دراسة ونصوص

الدراسة بقلم

عبد الله البردوني



مكتبة الإرشاد
صنعا

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

رفع وتصوير

مختار محمد الضبيبي

أقوال علي بن زايد

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

طَبْعَةٌ مَزِيدَةٌ وَمُنْقَحَةٌ

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

أودع بدار الكتب - وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء
برقم ٣٠٢ لسنة ٢٠٠٦ م



مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - صرب ٣٠١٩

هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩

الجمهورية اليمنية

اُقوال علی بن زاید

دراسۃ ونصوص

الدراسۃ بقلم
عبداسد البردوینی

مکتبۃ الإرشاد
صنعا



مقدمة

بقلم : الأستاذ عبد الله البردوني

- ١ -

يتساءل هواة الأدب عند سماع كل نص عن مناسبة قوله ، لأنهم اعتادوا سماع الآداب في مناسبات : كالأحداث ، والمواسم ، والأعياد . . . وصحيح ان المناسبات تتيح فرصاً : كإثارة زمنية للفن القولي . . لكن هل المناسبات هي دواعي القول ؟ قد تكون زمان إعلانه ، وقد تضيف إليه إذا كان معداً من قبلها ، وربما تصادفت المناسبة مع الاستعداد الفطري للقول . . مثلاً [عمورية] أبي تمام الشهيرة :

السيف أصدق أنباءاً من الكتب . . . الخ .

هل قالها عند فتح عمورية ؟ أو انه أعدها قبل الفتح بزمان كعادات الشعراء الأوائل الذين كانوا يعدّون المراثي والأماديع والتهاني قبل وقوع الأحداث بزمان حتى لا تفاجئهم المناسبة وهم على غير استعداد ! . . كان بعض شعرائنا في الخمسينات يعدّون تهاني عيد الجلوس قبل شهور . فهل أعد أبو تمام عموريته لمعرفة بما سوف يقع ؟ هذا هو الممكن ؛ إذ لو كانت العمورية من إثارة الحدث لتعددت القصائد المشابهة لقصيدة أبي تمام ؛ غير أنها لم تشتهر قصيدة بمناسبة ذلك الحدث كقصيدة أبي تمام ، بل لم تحمل دواوين المادحين المعاصرين لفتح عمورية قصيدة بهذه المناسبة . فهل من الضروري إتاحة المناسبة لكي يتفجر الشعر ؟

إن كل وقت يصلح للشعر ، وكل مكان يعطي أسراراً شعرية لمن يمنحه

الدخول إلى أغواره . غير أن الأوائل كانوا منقطعين لمناسبات القصور، فيكتبون القصائد قبل بواعث انشادها . روي أن (سلم الخاسر) أعد مرثاة (زبيدة) (أم الرشيد)^(*) قبل موتها بأعوام، وإن بعض الظرفاء اكتشف هذا وأشاع المرثاة في الناس حتى وصل الخبر إلى «زبيدة»، فأخبرها أن الموت يفاجئ. والشعر لا يستجيب عندما ينادى، ومن ذلك الحين اتضح أن كل الشعراء كانوا يفعلون فعل (سلم الخاسر) . . مثل المناسبات والحكايات، فكلما سرد الشاعر قصة خيالية في سياق أية قصيدة رآها الناس وراء إنشاء القصيدة؛ مع أن القصيدة هي التي أنشأت القصيدة، ولم تكن القصيدة هي التي أنشأت القصيدة غالباً. عندما ترشح (حافظ إبراهيم) لرحلة إلى أوروبا كتب قصيدة في وصف البحر، وصور مغالبة السفينة لاصطراع الموج العباب قبل أن يسافر، وقبل لم يسافر إلا في التصور الشعري لحالات البحر كما يقول:

عاصف يرتمي وبحر يُغيرُ أنا بالله منهما مستجيرُ
وكان الأمواج - وهي توالي محنقات - أشجان نفسٍ تشورُ
لقد تحققت رحلة (حافظ) شعرياً ولو لم تتحقق فعلياً، ولو كتب هذه القصيدة عن تجربة خيالية لكانت عناصر الإبداع فيها أوفر، لكنها وقعت بين تجربة الخيال، وبين احتمال واقعية الفعل، فكان تصويرها باهتاً لا يزيد على ما يرى الإنسان العادي أو ما يتناول الوصف الصحفي، ومع هذا فوراء هذه القصيدة حكاية رحلة لم ترحل.

فهل تقتضي التجربة الأدبية أن يعيش الشاعر تصوراتهِ عملياً؟

إن هذا سيستدعي إن وصف «الفرزدق» للذئب يجعله ذئباً، ويحمل نفس تجربة صاحبه المفترس، لعل «الفرزدق» لم يقاسم الذئب عشاءه بالفعل ولم يتحاور معه حقيقة، لأن هذا النوع من الشعر فخر بطولي تعبر عنه قصة تناسجت من القصيدة، لأن مغالبة الوحش ومصاحبته أعلى ضروب

(*) زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم ابنه الأمين، وليست زبيدة أم الرشيد.

الشجاعة ، ومع هذا تروى نونية « الفرزدق » منسوبة الى قصته مع الذئب :

وأطلس عَسال وما كان صاحباً رأى ضوء ناري موهناً فأتاني
فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نار تارة ودخان
فقلت له ، لما تكشّر ضاحكاً وقائم سيفي من يدي بمكان
تعشّ فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان

وعلى هذا فلا غرابة في استخلاص الحكايات من النصوص الأدبية ، حتى لو لم تأت من حكاية . صحيح أن بعض الآداب والمقولات والأمثال نشأت عن حكاية أو مناسبة ، لكن هذا لا يقبل التعميم . ولعل أكثر أمثال (علي بن زايد) تُعزّا الى حكايات هي تجارب الناس إن لم تكن إثارة الفن القولي ، وبالأخص إذا عرفنا ان « علي بن زايد » هو كل الشعب اليمني وان زمانه هو كل الأزمان كما أن قريته هي كل القرى ؛ لأنه عبّر بكل لهجات الكل ، ولا يُعبّر بلهجات كل الشعب إلا كل الشعب . على أن الحكايات التي أنطقت « علي بن زايد » هي بعض يوميات الناس ، وهذه هي الحكاية الأولى التي تمخضت عنها حكمة صدرت عن تجربة : كان « علي بن زايد » في بيته وقد أقبل الليل ولا يملك عشاء أهله ولا يؤمل في مصدر يعطيه ، لأنها سنة فقر عمت كل المنطقة ، هنا أراد « علي بن زايد » أن يختبر صبر أهله فتظاهر بالخروج من البيت حتى وجد له مخبأ في أسفل السلم ، فجلس هناك لكي يسمع كلام أهله في غيابه عنهم ، وتلاحقت الساعات ولم يعد ، فأبدت كل زوجة من زوجاته الثلاث سبباً لتأخره ، وعلى اختلاف كل الأسباب كانت كلها مشينة : قالت (حُبابة) : إنه خرج يسرق حبوباً أو كبشاً ولا يتسنى هذا إلا بعد أن يهجم الناس . وقالت (فَنْدَة) : إنها وقعت في القرية سرقة أدت إلى قتل على يد مجهول وان الناس اجتمعوا لاداء اليمين ، وقالت (سرعة) أنها رآته صباح ذلك اليوم على حافة المورد يتحدث الى فلانة ولا بد أنها وعدته وانه عندها . . بعد أن استمع الى الثلاث الزوجات

تسلل الى الباب وفتح له لحي يومه انه عائد من الخارج ، وكان لا يحمل طعاماً ولا كبشاً . وفي صبيحة اليوم التالي خرج للحرث كعادته بعد أن وفر طعام ذلك اليوم ، وفي منتصف اليوم حملت اليه احدى زوجاته غداءه ، وعندما اقتربت من المزرعة تنصّت إلى صوته وهو يحدو ثوريه ، وأدهشها عندما سمعت قوله :

يقول علي بن زايد من عادة الفقر الاخلاف
أمسيت من فقر ليلة زاني وسارق وخلاف

فهذان البيتان ثمرة قصة طويلة بذرتها الظروف ونسجها القفّن الحكاياتي ، لأن هذا التعبير يومىء الى قصة ، وليس من صنع تجربة بمنأى عن قصة ، ومن الممكن توفر أصول الحكاية ، ومن الممكن غياب الحكاية ، إلا أن الحكايتين يملكون براعة لتدرج واقع الحكاية الى نتيجة يترتب عليها حكم تجريبي ، فهذه الحكمة في البيتين صالحة النسبة الى حكاية ألفها الجوع وأخرجتها الظروف ومثلتها الثلاث الزوجات .

لكن الحكاية الثانية من لغة عصفور وعصفورة لهما أسامي البشر ؛ العصفورة (مُعْجَبَة) والعصفور « جُبْرَان » ؛ تقول الحكاية :

كانت « مُعْجَبَة » مَيُولَة الى التراخي والكسل تجمع من الحَبَّات أقل القليل ؛ تأكلها في مواسم الحصاد وتعيش باقي الأيام على ما تجد من القليل الذي تلتقطه من أقرب مكان ثم يقعدها الكسل عن البحث ، وذات يوم كاد يهلكها الجوع ولم تجد ما تلتقط ، فقصدت العصفور (جُبْرَان) ولما رأت عنده حَبَّات كثيرة رجته ان يعطيها فمنعها قائلاً : أين كنت والسُّبُول في الوادي والحبوب في الأجران ، اذهبي وتعلمي كيف تدخرين من خير [الغيل] لأيام الويل . . ومن حكاية « معجبة » و « جبران » ضرب « علي بن زايد » المثل بوخامة عواقب الكسل ، وأرسل احكامه في شكل حوار بين معجبة وجبران ولكن لفرض مختلف :

قالت : [عَجِيبة] دَبْنِي يَا [جبران]
قال كانش حضرتي جل زَيْط الأرهان
قالت : زوجي مطحل والعيال رمدان
قال : اصبري حتى يجيش [علان]

لقد نقل «علي بن زايد» حكاية العصفورين الى البشر. فعبرة (زيط
الارهان) تشير الى موسم بذر الثمرة . لأن الذي لا يزرع لا يحصد ، ونقل
«علي بن زايد» شكوى العصفورة كما لو كانت امرأة تعاني زوجها وأطفالها
مرض البشر . لأن الزوج مريض بالطحال والأولاد مرضى بالرمد . وهذه من
الأمراض الشائعة وبالأخص في مواسم الصيف ، لأن شرب الماء غير النقي
يؤدي الى الانتفاخ كما تؤدي حرارة الصيف الى العطش ، ولأن موسم
الصيف موسم اللبث فهو في الوقت نفسه موسم الذباب ، وكثرة الذباب من
أسباب الرمد ، غير أن (علي بن زايد) لا يرى سبباً للقعود عن العمل .
وهذه الأبيات من أغاني الحرث والبذر ، وهي تؤدي بأصوات عالية مديدة .

إذن فأمثال علي بن زايد تنبع من حكايات أو تنعزل فيها الحكايات ، أو
يخلق الحكاؤون لكل مثل خلفية حكاياتية ، لأن الشيء يأتي من مثله ،
حتى لشكوى العامة فانها ذات حكاية عند علي بن زايد .

وتقول الحكاية الثالثة : ان «علي بن زايد» باع ثوره لكي يشتري بشمه
عجلين يصبحان ثورين ، وبعد شراء العجلين ماتا واحداً بعد الآخر ،
فاستدان ثمن ثور ، وفي الطريق الى السوق هجمت عليه عصابة وأخذت
دراهمه ، وعندما رجع الى بيته عرف ان زوجته في بيت أهلها نتيجة محاكمة
لا تكفي سبباً لحثفها ، وتحت وطأة هذه المصائب لم يجد متنفساً إلا
«المهيد» ، وكان إذا هبّد أشجى كل سامعيه لجمال وقع صوته وجودة
كلامه ، ولقلة هذا منه يعرف الناس سوء أحواله ، وعن طيب خاطر يتعاونون
معه باخلاص ، في ذلك اليوم صعد الى أعلى الجبل منشداً هذا (المهيد) :

يقول أبو (سعد) يا غبنه ثلاثة غبون:
الغبن الأول لمن جارت عليه الديون
وغبن ثاني لمن قُلَّتْ رجاله يهون
وغبن ثالث لمن فارق كحيل العيون

وبعد انشاد هذا (المهيد) تجمعت القرى المجاورة وسأقت ثورين الى بيته ، ثم انتدبوا ثلاثة من وجوه الرجال الى والد زوجته فأرجعوها الى بيته ، وبعد أن أنهوا المهمتين جاءت زوجته الى الجبل بصفة حاطبة ، وأخبرته أنها زارت أباهما لأنه أخبرها بأن عجليهما قد أصبحا ثورين ، وأن العجلين اللذين ماتا ملك أحد الجارين ، أما عجلاهما فقد وجدتهما أخوها من دون أن يعرف صاحبهما وبقياً لديه ثمانية شهور ، وعرفت أمها أنهما لعلي بن زايد مدلة بالعلائم في الجبين وفي جلد اليدين لكل منهما .

فقد جاءت الثلاثة الأبيات في سياق القصة كجزء منها ، وهذا سر اختلاف القصة عن سابقتها . وتسميتها هنا بالقصة على المصطلح الشعبي ، فهي في هذا المفهوم أحياناً قصة وأحياناً خبر ، ولا تسمى في الاصطلاح الشعبي حكاية ، لأن الحكاية : الكلمة المفيدة ، أو الجملة المركبة .

أما الحكاية الرابعة فهي تمهّد للحكمة كجذور لها ؛ كان « علي بن زايد » نائماً في سطح بيته في إحدى ليالي الصيف ، ومن عمق النوم نُبّه منادٍ لا يراه قائلاً : رزقك عند (ركبة حضر) تحت الحجر . فعرف انه دعي الى غنيمة مدفونة ، وعندما أحسّت زوجته بخروجه قالت له : الى أين في هذا الوقت ؟

قال : دعاني داعي الرزق ، هاني صميلي فالذئاب على طول الطريق ، ولما وصل المكان المعين حفر قليلاً حتى اقتلع الحجر فوجد تحتها كومة من فحم الخشب المحروق ، ولما رأت زوجاته ضيقه استفسرنه فقص الخبر ، وهنا صاحبت أمه : بحت بسرك أصبحت اللقية سود ، فعرف بعد استفصال

منها أن الذي ينهه مناد إلى لقيه يجب أن يحتفظ بسرّه وإلا تحولت اللقية إلى (سود) بدلاً من الذهب أو الدراهم ، وهذا عند الجان عقوبة افشاء السر ، ومن هذه القصة تمخضت تجربته في هذا المثل :

يقول علي بن زايد من قال : حلم العشيّة
يصبر على بخته الشوم والسود يصبح لقيه

لا يدل هذا على تجربة خاصة ، وإنما هو من تجربة عامة رددتها الحكايات وخلقت أشخاصها ومواقفها وأسباب النجاح والفشل فيها . لكنها تُعدُّ من « علي بن زايد » حكمة ولو خلت حكمته من الفريدة ، فابن زايد هنا من صنع الحكايات لأن أمثاله جاءت من حكايات . صحيح أن هناك أحداثاً أنتجت أمثالا من أشباه المثل الجاهلي : سبق السيف العذل . لكن أجود أمثال « علي بن زايد » المنظومة وغير المنظومة ، وسير تجاربه الزراعية والبشرية لا تصدر عن حكايات وإنما تتبرج من تجربة ، وإن تألفت عن بعضها حكايات كسببية لقولها . حتى أن أكثر أمثاله صارت أعرافاً لها قوة الأحكام المسلم بها ، وهذا يستدعي البحث في نسب الحكيم ومنشئه وفي أقاويله وفي الأقاويل عنه .

- ٢ -

من هو علي بن زايد ؟

لا يتجاوز النسّابون به إلى اسم جد ؛ وإنما يصلون نسبته إلى أبيه ويقفون عنده ، وكأن شهرته تغني عن نسبه في ظاهر الأمر ، غير أن الشهرة مدعاة البحث عن سلسلة النسب وأصول التربية فليست الشهرة سبباً في غياب سلسلة نسبه .

فمن أي منطقة هو ؟

أنه من قرية « منكث » من المناطق الوسطى جنوب [ذمار] كما يرى البعض ، مستدلين على هذا بترديد ذكر (منكث) في أمثاله الزراعية :

ما خير الا بمنكث للجن والناس والطير
غير ان هذا الدليل لا يكفي وحده ، لانه زُدد ذكر غير (منكث) في أكثر
من مثل ؛ من مثل (وادي حيكان) وهو اسم لأكثر من وادٍ في غير
(منكث) ، وليس (حيكان) أحد أودية (منكث) أو أحد حقولها الى الآن .
ويرى البعض انه من (جهران) لكثرة ترديد اسم (قُبَاتِل) و (رُصَابَة) ، من
مثل قوله :

ولا سقى الله قُبَاتِل ولا رحم ذي بناها
تَلَم بتسعة وتسعين جات الميه لا سواها
و (قُبَاتِل) ما بين (عنس) و جهران ، وان كانت إداريا من (عنس) . أما
(رصابة) فهي جهرانية الادارة عنسية المكان ، وهي أكبر قرى المنطقة
الوسطى وفيها يقول علي بن زايد :

ما في المدن غير صنعا وفي البوادي رُصَابَه

وهذا الدليل على نسبه الى هذه المنطقة لا يكفي ، لأن هذه المعرفة
تتسنى للسائح وللمسافر ولا تقتصر على أهل المنطقة ، فرصابة تقرب في
مساحتها وعدد سكانها من مدينة « ضوران آنس » وان تميزت الأخيرة بمعاهد
الفقه ؛ ففي « رصابة » بساتين خضرة وأربعة دكاكين آن ذاك على حين
(ضوران) مركز حكومي ، لكن تحديد زراعة (قُبَاتِل) وقِلَّة رِيعِها تدل على
اختبار محلي ، وفي الامكان أن يعرف المُتطلع من غير أهل المنطقة
وبالأخص المخمنين وقُبَاض الزكوات الذين رأوا « قُبَاتِل » لا تجيد زراعة
الذرة والقمح ، وانما أجود زراعتها الشعير والعدس ؛ وجودة الذرة والقمح
أبرز علائم جودة الأرض وأهم المحاصيل عند المزارعين . لكن هناك أمثالا
تدل على ان علي بن زايد من « الحيمة » ومن « حراز » ومن « صعفان »
لقوله :

ما شام الا حيمي وما جلجلان إلا ريمي

كما تدل أمثلة أخرى على انتسابه الى خولان وأنس وعنس من مثل قوله :
ما سيّد إلا كبسي وما برّ إلا عنسي
وما فقيه إلا أنسي

ومن مثل قوله :

قال ابن خولان حقي صاحبي ذي ما معه حق ما حد صاحبه

ان المعمرين من كل منطقة ينسبون علي بن زايد الى مناطقهم ، ويروون
أحكامه وحكمه بلهجتهم ولكن لا أحد يتجاوز بنسبه اسم أبيه ، رغم معرفة
أسماء زوجاته وبعض بنيه وبناته ، أما اغفال اسم امه فهو داخل في الشبوع ،
اذ لا ينتسب أحد الى الأم ، إلا في النادر ولقصد التمييز مثل « محمد بن
الحنفية » و « زيد بن الطثرية » ومن قبلهما « عمرو بن هند » .

إذن فعلي بن زايد غير معروف الجَدّ والبيت على اشتهاره في كل البيوت .
فهل علي بن زايد واحد ؟

لا بد أنه يُعد بالعشرات ومن أجيال متعاقبة ، وربما كان واحداً نسبت إليه
أقوال غيره إلى جانب أقواله ، كما انتسبت بعض الحماسيات الى « عترة »
وبعض الخمريات الى « أبي نواس » وبعض الفكاهيات الى « أبي دلالة » ،
بفعل الشهرة .

فهل علي بن زايد شخص تاريخي ؟

أو أنه من صنع الخيال الشعبي ؟

لعله حقيقي خيالي معاً ؛ حقيقي من حيث التسمية وخيالي من حيث وفرة
هذه الأمثال والأعراف والحكم ؛ إذ لا يمكن أن يعبر رجل واحد بلهجات كل
المناطق وعن تجارب كل الأجيال الزراعية .

فلماذا نُسب الناس إليه ما لم يقله ؟

السبب اشتهاره بالحكمة التجريبية لكي يمتلك القول قداسة الشريعة أو

قوة القانون . ومن جهة ثانية فلعل الرواة هم الذين عزوا اليه ما يجانس أقواله لجهلهم بغيره . غير أن المُعَصِّرِينَ ينسبون إلى علي بن زائد ما قال سواء ، وينسبون إلى سواء ما قال ابن زائد ، ويتحدثون عن حكماء عاصروا ابن زائد أو جاءوا بعده ؛ من أمثال « حُميد بن منصور » و « جزام الشبثي » و « أبو خيزرانه » .

من هنا يتبدا أن علي بن زائد وأمثاله مجموع الشعب ، أو التعبير عن تجاربه ، أو الموروث الفكري الزراعي والأعرافي .

لكن إلى أي عصر ينتمي علي بن زائد أو غيره من الحكماء ؟

لأن التاريخ كان رسمياً فلم يهتم بهؤلاء الحكماء ؛ وإنما تواترت مقولاتهم على الروايات الشفوية . وفي مطلع العشرينات تزايد التساؤل عن عصر علي بن زائد . وهل هو جاهلي أو اسلامي . . فالبعض اعتبره جاهلياً لقوله :
يا غارتاه يا ثريا معالم الصيف زلت

فلو كان اسلامياً لقال : يا غارتاه يا إلهي .

لأن الاسلامي لا يستغيث بالثريا وإنما بالله . وهذا لا يدل على عصره ولا على تدينه أو عدمه ، فما يزال الاستنجاد بالنجوم في الأرياف إلى اليوم ، وما زالت النجوم علائم المواسم وأوقات الليل . كما أن انبساط الشمس وظلها وغروبها علامات أوقات النهار - رغم انتشار الساعات - فاستغاثه علي بن زائد بالثريا يدل على ريفيته ولا يحدد عصره ولا ينم على تدينه أو عدمه ، لأن المسألة تجربة زراعية محضة ، ومثل هذا يمكن نقاش من اعتبروه اسلامياً ، لأنهم استدلوا بتسميته ، وهذا لا يكفي ، فإن اسمه واسم أبيه من الاسامي المعروفة في الجاهلية والاسلام :

يرى المؤرخون الشيعة أن « علي بن أبي طالب » ثالث اسم في الجاهلية ، ولكنهم يقيسونه على (محمد) النبي الذي هو ثالث اسم من أسماء الجاهلية ، لأن « محمداً » و « علياً » من الصفات التي أصبحت

أسماء ، أو من الأسماء التي اشتقت من الصفات ، فمحمد مشتق من الحمد وعلي مشتق من العلو ، وعلي هذا فلا تدل تسمية « علي » على عصر جاهلي أو إسلامي ، ومثله « زائد » فهو من الأسماء الشائعة ، ولعل المؤرخ « محمد الحجري » أول من حاول نسبة علي بن زايد إلى « بني زياد » لتسمية أبيه ، لكن النسبة إلى بني زياد « زيادي » بياء النسبة ولم تلحق الباء اسم والد « علي بن زايد » في أية رواية أو على أي لهجة . وعلي هذا فعلي بن زايد مجهول العصر ، كما هو مجهول الأجداد ، وكما هو غير معين المكان . إذن فهو الشعب البمني بكل تجاربه وموروث عاداته وأعرافه ، على أن هناك فروقاً بين العادات وبين الأعراف .

العادات تتغير بسواها ، ولا يشكل الخروج عليها سبباً عشائرية ، على حين الخروج على الأعراف يشكل عاراً دائماً ، لأن للأعراف قداسة الشريعة وقوة القانون ، يُعاقب الخارج عليها بأحكامها ، كما سنرى في أعراف ابن زايد .

في مطلع العشرينات تولّى أحد القضاة تقسيم تركة عائلة ريفية ، وعندما استحضر الورثة طلب وصية المتوفى ، فوجد عليه ديناً فرأى انتزاع الدين من جملة التركة قبل تقسيمها ، كما هو الشرع ، فرفض الورثة هذا ، فرد عليهم الأحكام في هذا الخصوص فلم يفتنعوا ، فتلى عليهم الآيات القاضية بتقديم الدين على التقسيم فلم يقبلوا ، فقال أما سمعتم قول علي بن زايد : (الدين قبل الورثة) فافتنعوا .

كانت هذه القضية عند الفقهاء سبب التساؤل عن عصر علي بن زايد ، وهل هو جاهلي أو إسلامي ؟

وهذا التساؤل يؤدي إلى تساؤل :

هل قال علي بن زايد : الدين قبل الورثة ؟

أو إن القاضي اخترعه للخروج من المأزق؟؟

إذا كانت هذه المقولة من اختراع القاضي ، فهي لا نبعث عن أحكام ابن زابد العامة ، وإن دلت على لباقة القاضي فهي تدل على مكانة علي بن زابد ، وعلى أن لأقواله تأثيراً يفوق الشرائع والقوانين . ولا بد أن هذا التأثير قد أزعج السلطة الامامية في مطلع العشرينات ، كفترة تأسيس الحكم الإمامي على المذهب الهذلي الزيدي . من هنا يمكن البحث عن الأعراف في أمثال علي بن زابد ، ومقدار مطابقتها للشريعة واختلافها عنها ، لأن الشريعة تقبل كل عرف تطبعه صبغة شرعية ، باعتبار الشريعة جاءت إلى بشر ، تقوم على خبر ما عندهم رافضة شر ما عندهم . ولعل المثل الأول : الذين قبل الوراثة ، يتفق مع الشريعة المحمدية ويلانم الأعراف التي سبقتها ، فقد كان الوفاء بالدين ، كإنجاز الوعد من أخلاق الجاهليين ؛ فكان الرجل يفي بدينه ونفي القبيلة بدينها في الوعد المضروب كتابياً أو لسانياً ، ومن خرج على هذا العرف خلعت القبيلة . وقد أدى خروج قبيلة (بني سهم) على هذا العرف إلى عقد (حلف الفضول) ؛ المشهور والحكاية كما يلي : التوى (العاص بن وائل) عن ذئب لتاجر يماني ، وكان « العاص » رأس قبيلة (بني سهم) ، لهذا أعلن اليماني ظلامته على « قريش » ، فوقف على ربوة منشداً هذا الشعر :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته	يبطن (مكة) نائي الدار والتفر
وأشعث محرم لم يقض عمرته	بين الصفاء وبين الحجر والحجر
أقام في بني سهم بذمتهم	أم ذاهب في ضلال مال معتبر

فاجتمعت قريش إلى جانب اليماني وأرغمت بني سهم على قضاء الدين ، وتكون من جراء ذلك (حلف الفضول) لإنصاف كل مظلوم ، وكان هذا قبل الدعوة المحمدية بسنوات ، التي زادت من تأكيد أداء الدين وجعلته قبل الوراثة على اعتباره في ذمة الموروث ، فحكم علي بن زابد ؛ (الذين قبل الوراثة) يتفق مع الشريعة ومع الأعراف الموروثة ، لكن هذا لا يطرد على كل أمثاله وأعرافه ، من نوع هذا المثل :

ذي ما يقع مثل ابن عمه ، يقع له جار .

فقد كانت القبائل الجاهلية تخلع كل رجل يخرج على أعرافها ، ويسمى بالخليع كما أشار (طرفة بن العبد) :

وما زال تشرابي الخمر وهمتي وبيعي وانفاقي طربدي ومتلدي
الى أن تحامتي العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد

كيف خرج : (طرفة) على عرف القبيلة ؟

كانت القبائل الجاهلية تحرم على نفسها كل اللذات في أوقات معينة : كالتربص لأخذ ناز ، أو بعد موت شجاع . . ولعل « طرفة » تعاطى الخمر في فترة تحريمها عند القبيلة ، فاستحق إبعاده الى جبل كالجمل الأجرب ، وعلي بن زابد يشير الى هذا ، غير أن العقوبة عند القبائل اليمنية كانت أقسى ، لأنها كانت تعاقب الخارج على العرف بالنفي الدائم ، فيلجأ المنفي الى قبيلة أخرى : له فيها حق الجار ، وليس له حق الحماية من الجار اللصيق ، لأنه لا غرام ولا رجاء . . لان الذي لا يدخل في عرف أبناء عمه ، يصبح جار الآخرين .

لهذا كانت تنفي كل قبيلة من يخرج على أعرافها ، ويسمّون في القبائل الأخرى بالجيران ، ويتصفون ببني الخمس ، كعلامة على تنقيصهم ، واستمرار هذا التنقيص في ذرياتهم ، وكانت القبائل المجيرة تستخدمهم لضرب الطبول وجز الأغنام والدوشنة وسائر الخدمات ، ولهم حق العيش والكسب مقابل خدماتهم ، ويباح لهم بناء البيوت ، ويحرم عليهم شراء المزارع أو حجرها ما لم تصلهم عن طريق الهبة من بعض المحسنين والمحسنات . . ولا بد أن هذا النفي أصبح عرفاً عاماً في كل القبائل ، حتى شكّل الطرداء طبقة تدنو من طبقة العبيد ، ويرى البعض أن سبب تواضع هذه الطبقة يرجع الى احترافها المهن الدنيا : كالجزارة ، والحلاقة ، والفهوية ، وصنع الأحذية ، والحجامة وأمثالها . . ولكن هذا الاحتراف لا يقتصر على

طبقة ولا يرفع ولا يضع ، فقد كان « عمرو بن العاص » يحترف الجزارة ،
وكان « عمارة بن الوليد بن المغيرة » ، يحترف الحجامة .

وفي بلادنا كان (الطبري) اسكافا ، ومع هذا تزوج ابنة الهادي
« يحيى بن الحسين » ، فليس للحرقة أي دخل في تصنيف الطبقات ، وإنما
أصبحت مقياساً للطبقة من بعد الاحتلال العثماني الثاني لبلادنا .

إذن فحكم علي بن زايد : ذي ما يقع مثل ابن عمه يقع له جار .

يقرب من الأمثال الجاهلية وعاداتها ، حيث كان يعتبر الرجل من قومه وإن
أخطئوا على حد قول الأول :

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

كما يقول علي بن زايد في مثل آخر :

بين اخوتك مخطي ولا وحدك مصيب .

فهذا المثل وسابقه يتنافى مع الشريعة ، لأنها تحدد المثوبة والعقاب على
فعل الانسان : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت) .

غير أن علي بن زايد يصدر أحكاماً كثيرة تتفق مع الشريعة : إما عن علم ،
أو عن اتفاق غير مقصود ، كما في هذا المثل :

يا من بزا ولد غيره ، فارق ودمعه همولا

ومن زرع مال غيره ، يخرج وفيه السبولا

وهذا الحكم نافذ بين المطلقات ، فعليهن أن يرجعن الى الزوج السابق
أولاده عند طلبه ، وناقذ على مستأجري الأرض ، فعليهم ردها الى مالكيها
عند طلبها حتى ولو كانت مشجرة . الفقرة الأولى من المثل تتفق مع الشريعة
جملة وتختلف في التفاصيل ، فالفقهاء يقرر للام الحق في حضانة أولادها
الذكور حتى يستغنوا عنها أكلاً وشرباً ولبساً ونوماً ، أما الإناث فهن للامهات
المطلقات حتى يبلغن الرشد ، ولهن حق الخيار بين بيت الام وبيت الاب ،

والمثل لا يفرق بين الذكور وبين الإناث . أما الفقرة الثانية من الحكم فإنها تلزم مستأجر الأرض بارجاعها الى المالك على الاطلاق ، لكن الشريعة ترى الاستثناءات وتفرق بين الاستئجار بعقد أو بدون عقد ، وترى حق الأجير مشروعاً على المالك كما يراه عدول . فهذا الحكم في جملته ينتمي الى عرف لا بجانب الشرع كلياً ، وهذا يوصلنا الى حكم يتفق مع الشريعة ويفصل أكثر ، تقول المسألة الفقهية :

(المدعي يُخلى وسكوته) .

فله الحق أن يرفع دعواه متى شاء ، وأن يرهن على صحتها متى أراد ، وأن يسكت عنها الى أن يريد .

أما علي بن زابد فيحكم هكذا :

للمدعي خمس مرات ، والسادسة لا تجيبه .

هذا حكم على المدعي ، حتى لا يتمتع اذا كان مبطلاً بحقوق المحق ، فهنا تحديد لسماع الدعوى بخمس مرات بعدها لا إجابة له ، على حين (فقه الازهار) يخلي المدعي وسكوته ، ولا يشترط في صحة الدعوى إلا البينة أما الاسكات للدعوى فلا يراها التشريع الهدوي . ومسألة البينة يحددها علي بن زابد والفقه بتعبيرين متقاربين : يقول علي بن زابد من عيّن بين . ويرى شرح الازهار : (على المدعي البينة وعلى المنكر اليمين) لكن حكم علي بن زابد ينطوي على دلالة اجتماعية : من عيّن بين ، أي من رأى بعينه حادثة وأدعى بمقتضاها فعليه البينة ، لانتقاله من مكان الشاهد الى مكان المدعي ، وقد يكون للفضية جانب آخر كتحديد نهمة بحرفها العلني ، لأن التورية ليست تعييناً لنهمة ، فلو اتهمت امرأة امرأة أخرى بحادثة مشينة صراحة وبالاسم ، فإن عليها البينة ، لكن لو استعملت التلميح بدون إشاعة في القرية لما تحتمت عليها البينة ، أما إذا كان هناك إشاعة فلها حكم البينة ، كما يؤكد ابن زابد : ما خبر يخرج من تحت حجر .

أما في مسألة الخصومات فإن ابن زاید بحکم فی کل حادثة هكذا : (بها مثلها) .

فإذا اعتذرت قبيلة على مرعى قبيلة أو زروعها ، وسبق من تلك القبيلة نفس العدوان أو الخطأ فإن الأخيرة بالأولى .

لهذا يردد الناس عند كل حدث : بها مثلها .

وإذا لم تكن للحادثة سابقة فإن اليمين هو الحكم ، فتحلف القبيلة المعتدية على المراعى أو الزروع ، لو أن هذا وقع على مرعاها وزروعها لما طالبت شيئاً من التعويض .

هذا فيما يتصل بالأعراض الدنيوية ، أما فيما يتصل بالأحداث الدموية فإن ابن زاید يفرض على كل العشيرة القتال الى جانب الفرد منها عند صيحة النداء ، كما في هذا العرف :

من صاح صبيان قومي ، حمل بني عمه اللوم .

فكل رجل من قبيلته محقاً أو مبطلاً ، وعليهم الإجابة أو تحمل اللوم ، وإذا قامت الحرب بين قبيلتين : فلكل فرد في القبيلة قتال من يجد من القبيلة الأخرى ، حتى ولو لم يشارك في اشتعال الحرب ، ويمثل ابن زاید لمثل هذا بقوله : الجمل الطارف سفياني .

ولعل هذا المثل إشارة الى حادثة ، ثم انطبق على اشباهها ، فانتقل من الجمل السفياني الى الفرد من القبيلة ، لأن عادة الأمثال أن تُروى حرفياً ، ولو اختلفت عن أصل قولها أول مرة . وهذا المثل كالذي قبله من الأعراف الموروثة يختلف مع الشريعة ويوافق سائر الأعراف القبلية ، ومن هذا القبيل هذا المثل : للجاهل عاقل .

الجاهل هنا الصبي غير المكلف : والشريعة لا تحكم على الصبي ، وإنما على الراشد ، على حين عُرف ابن زاید بحمل أهل الصبي جريرة الصبي : للجاهل عاقل .

وتدخل تحت هذا المفهوم : الأبقار والمواشي . فلو نطح ثور ثوراً آخر ومات بجناية النطح ، فإن مالك الثور الناطح يعرض بالمنطوح تحت مبدأ : للجاهل عاقل .

ويعمم هذا على الأغنام والماعز وسائر المواشي .

لكن ما حكم ابن زايد في السفه والمجنون ؟

وهل يتحمل أهلها جنايتهما ؟

إن أعرافه تقضي بهذا ، كضريبة حياتية كما يقول المثل :

الشوم على أهله حموله ، والجيد حُمَال الأثقال .

ففي هذا حُكْم ، وفيه عزاء لمن يتحمل جُرم سفهه ومجنونه .

ذلك لأن البيوت الكبيرة الكثيرة الذرية لا تخلو من سفهاء أو مجانين ،

ولكنهم ينتسبون إلى (جيد) يضبط تصرفاتهم ، أو يتحمل جرائمهم ،

كعقوبة على قصوره ونقصيره .

وهذا المثل قد ينتمي إلى الشريعة من ناحية كف الأذى رعاية للمصلحة

العامّة ، ولا ينتمي إليها من حيث تحمل البريء ذنب المجرم ، فقول ابن

زايد عرف خالص ، له مسحة شرعية ، بالنظر إلى المصلحة .

بعد هذه الطائفة من الأحكام والأعراف ، يبرر نفسه سؤال : هل سادت

هذه الأعراف قبل وجود علي بن زايد ، وإنما فلسفها ونظّمها في مقولات

وأشعار ؟؟

لعل هذه الأعراف سبقت ابن زايد ، وإنما أعطاها نظرة فكرية وأضاف إليها

تجربة ، ثم أضافت الأجيال إلى تجاربه ومقولاته ، كما أضافت الأجيال

اليونانية إلى قصيدة هزيبود (الأيام والأعمال) ، وهي تعالج التجارب

الزراعية والأعراف كأمثال علي بن زايد .

لكن هل كل أمثال علي بن زايد صادرة عن تجربة وعن نظر فكري ؟

ان بعض أمثاله لا ندل على نظر ، وإنما حكاية في تناول أي انسان ، من
مثل :

ما في المدن غير صنعا ، وفي البوادي رصابه

فان هذا لا يدل على اختبار ، وإنما على دهشة فلاح يرى المدينة أول
مرة ، أو يرى قرية تختلف عن قريبه ، ومن مثل قوله :

الدهر هب به بهبه
أيام واحنا نروح
وأيام ولو قلت حبه
ويوم وأنا مصبح
ويوم قصه وثره

ألم يعرف كل الناس تقلب الأحوال ؟

لكن يختلف التعبير عن تقلبها !.. فهذا المثل قد يكون عزاء وقد يشكل
أملاً ، غير أن عادة الفلاحين ترديد المجموعات حتى لو كان المسموع في
إمكان السامع ، وربما كانت هذه الأمثال التي نعدّها عادية ، غير عادية في
لحظة قولها وتلقّيها ، ومع هذا فان لابن زايد ثروة رائعة من الأفكار الثاقبة ،
والنظرات المسدّدة ، من مثل :

يقول حميد بن منصور ، الجاه خير من المال

يقول علي بن زايد ، المال خير من الجاه

وعندما يذكر ابن زايد المال ، فانه يقصد الأرض ، كغيره من الفلاحين
الى اليوم ، فإذا ذكر ابن زايد المال ، تبادرت له صورة الرجال باعتبارهم :
امكانية تفجير خير المال .

لا تغل يا مالا ، وقل يا رجلاه

فالرجال سببة عطاء المال ، وأقوى حماه ، وهذه من أثقب اللمحات ،

لأن الإنسان أروع ظواهر الطبيعة ، وسر امتلاك خصيها ، على أن هذه
الأمثال والأحكام أقل ملامح ابن زايد .

- ٣ -

سبقت الإشارة الى أن « علي بن زايد » مجرد رمز لفلسفة الشعب ، أو
أصل لهذه الفلسفة تفرعت منها فلسفات تجريبية ، وعلى هذا فحكيميات
« علي بن زايد » تجارب كل الشعب في مختلف فتراته ، وإن قلت الفروق
بين الفترات ، حتى كأن كل هذه الأمثال والحكم تعبر عن بيئة واحدة على
تعاقب الأجيال . . ويمكن الآن الوقوف على فكرياته الحربية ، وسوف
نلاحظ قبل الدخول مسألة لغوية : عندما يقول علي بن زايد (ذي) فهو
يقصد الذي ، لأن ذو ، أو ذي ، اسم موصول عند قبيلة (طي)
(الحميرية) حرف تعريف أو تحلية للمعرف مثل (ذي نواس) و (ذي
يزن) ، وتنطبق التحلية والتعريف على العلم الإنساني ، وعلى العلم
المكاني ، مثل (ذي حود) و (ذي سحر) ، وقد تطلق على المكان وساكنيه
مثل (ذي الكلاع) . . وكذلك كلمة (لا) النافية فقد يستعملها كأداة شرط
بدل (إن) أو (إذا) كقوله : (سبل الروابع لا حمي شل الخشب) .

هذه المسألة اللغوية . . وهناك مسألة البيئة : فأكثر أمثلة علي بن زايد تعبر
بنفس الفكرية الجاهلية والمعجم الجاهلي ، وبالأخص في وصف أحوال
الحرب ودواعيها ، كما تشير الأمثال التالية :

أول الحرب	عدمه
ووسطها	غرامه
وآخرها	ندامه
وبعدها	سلامه

سوف نلاحظ كيف تدرج « ابن زايد » تدرج الحكيم بالأمور ، فأول

الحرب حماقة ، لأن المرء يعرف بدايتها ولا يعرف نهايتها ، وأوسطها غرامة لا مفر منها لأن البداية حتمتها ، وآخرها ندامة لأن المرء لا يعرف سوء البداية إلا من مرارة النهاية . . لكن « ابن زايد » لا يدعو إلى الجبن ، لأن بعد العدامة والغرامة والتدامة ، خضرة السلامة ونعمى العافية .

فماذا يريد أن يقول الحكيم ؟

انه يدعو بلا مباشرة الى علمية الحرب : كمعرفة قدرة العدو ، وفهم موقفه ، والموازنة بين القدرتين والموقفين . لأن الدراية قبل التورط ، تعطي القدرة على السيطرة ، أو الخروج المشرف من المأزق . وإذا فرضت الضرورة الحرب ، فلا بد من خوضها ، لأن بعدها - مهما اشتدت - خضرة العافية ، لأنها تشذب ولا تقتلع . فابن زايد هنا يحمل عصي المعلم ، ولا يكتفي كما اكتفى (زهير) :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو

وما هو عنها بالحديث المرجم

على أن تعبير « ابن زايد » يقرب من تعبير البيئة الجاهلية في جملة خطوطها . فإذا كان « زهير » من راصدي ويلات الحروب ، فإن « عترة » نفي غاراتها كما يقول :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني

أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأقني حياءك لا أبالك واعلمي

أنني امرؤ ساموت ان لم أقتل

إذا كان « ابن زايد » قد استخلص فكريه الحرب من بدايتها الى نهايتها ، الى ما بعد نهايتها ، فانه لا يدعو الى تركها حين لا مفر من خوضها ، وإذا كان في جملته الأربع السابقة يشبه « زهيراً » أو « أكثم بن صيفي » في مقولاته المسجوعة ، فانه في مثل آخر يشبه « عترة » :

ذي ما يغارم ويغرم
له المنايا تشله
وما من الموت مهرب

هل بيثة « ابن زايد » جاهلية ؟

ان البيئات لا تتقيد بأزمان : فبعضها يشبه بعضاً ، وبعضها يمتد من بعض ، وبالأخص في الأرياف والبوادي ، فان العادات تتحكم فيها فلا يؤثر فيها عامل التطور تأثيراً ملحوظاً . فقد امتدت بيثة الشعر الجاهلي الى عهد النهضة وان اختلفت بعض السمات فان جوانب الامتداد أطفى على القاعدة الفنية ورنو الفنان .

و « ابن زايد » يعبر عن بيثة ريفية تارة ، وعن بيثة بدوية تارة أخرى ، لأن الفلاح في بلادنا يتحول الى بدوي رحال عند الضرورة ، كما يتحول البدوي الرحال الى مزارع حين تجود المواسم .

لهذا قلّت الفروق أو انمحت بين البيثة البدوية والقروية ، فافصحت تعابير « ابن زايد » عن البيثة الواحدة ، أو البيئات المتماثلة .

لهذا صارت مقولاته : تعاليم حربية ، وزراعية ، واجتماعية وما زال البحث بصدد (أمثال الحرب) .

إذا كان في المثليين السابقين عالماً حربياً ، فانه في هذا المثل عالم نفسي :

من قابص الناس يقبص
ولا قبص لا يقل آح

هل يمكن أن تعادي ولا تعادي ؟

هل يمكن أن تنجي قبلةً من المطعون ؟

إن من يطعن سواه ، يسبب طعنات نحره حتماً .. فعلى المتحرّش أن يوطن نفسه على تحمل ما حمل سواه .

ألم يكن « ابن زايد » على دراية بخبايا النفوس ؟
وكما أنه على دراية بالنفوس فإنه أرهف رؤية الى أحوال الحرب القبلية ،
كما جربها أو كما عرفها من المجربين :

الحرب لا بات ليلة
أمست حباله تناوى
وان حمي بعدها يوم
أمست حباله تقاوى

الحكيم يعبر عن حرب قبلية غير مرغمة بالانضباط على القتال
كالعسكرية ، فإذا تحاربت اشتد القتال ساعات ، لكي يخمد بعد ليلة ، وإذا
اشتد بعد الليلة ، فقد وجد المحاربون مددا ، وأصبحت النهاية مجهولة ،
فإما ان تخمد الحرب ليلتها ، وإما أن تطول مدتها إذا تجاوزت يومها الثاني
على نفس الشدة . . ولا شك أن الحكيم يعبر عن حروب لا حرب واحدة :
الحروب القبلية التي يسكتها التصالح أو تعب المحاربين أو دعوة المزارع ،
والحروب السياسية التي لا تنطفي إلا بانتصار أحد الجانبين ، أو تدخل عامل
ثالث ، إما إرادي أو غير إرادي . . ولأن أيام السلام أكثر من أيام الحرب ،
فان تعابير « ابن زايد » عن أيام السلم أكثر ، وهذا يقود الى تفلسفه الأخلاقي
كمعبر عن الشعب ، أو كتعبير الشعب من خلاله .

من الخطأ الشائع ، رأي البعض في ان القبائل ترى السرقة مرادفة
للشجاعة ، والبراعة في تلك مرادفة للمهارة في هذه .

الحقيقة أن هناك فرقا لغوياً ومعنوياً بين السرقة والنهب والأخذ : السرقة
تنطبع بالسرية لأنها تمارس في الخفاء ، والنهب ممارسة علنية كنتيجة
لانتصار محارب على خصمه ، والأخذ علامة القوة على الضعيف وهي من
مراس السلطات والمتسلطين . لهذا كان « ابن زايد » دقيقاً في قوله :

السرقة يا مهرة الويل
إذا خفي كيف لا بان

هنا يضغط على حاسة الضمير ، وعلى شعور الاستحياء .

لهذا يضع السرقة أحط مهنة ، أو « مهرة » كما تسميها اللهجة ، بل يتجاوز بها الانحطاط الى الويل والثبور على مرتكبها ، فهي عذاب في الخفا وهي فضيحة في العلن . وهذا تعبير عن الحس الأخلاقي عند « ابن زايد » ، لأن التنديد باللصوصية دعوة صارخة الى نقاوة العفة .

ومن فلسفة الضمير ينتقل « ابن زايد » ، الى فلسفة التقليد في حسن رعاية الجار ، فقد تفاوحت الأشعار العربية بصفات حماة جيرانهم :

همو يمنعون الجار حتى كأنما

لجارهموبين السماكين منزل

لكن « ابن زايد » لم يتناولها على هذا الشكل التقليدي ، وإنما اعتصرها من يوميات الناس ، كما يقول :

من هو مرة مرتبه

يضرب مرة جاره

ألا تشتجر النساء كل يوم ، وكل واحدة تحاول الانتقام بيد رَجُلها ؟ ألم ييلور « ابن زايد » الطبيعة النسائية ، وورطة من يخضع لامراته بأدق تعبير ؟

فكيف يكون الرجل زوجة زوجته ؟

إذا حدث هذا ، فإن الرجل سيسقط في الوحل لاعتدائه على امرأة ، لأن التقاليد القبلية ترى أنذل الناس من يعتدي على امرأة أو على عاجز من الرجال ، لأن الشجاع الحقيقي يسمو بشجاعته حين يواجه شجاعا مثله وجها لوجه .

لقد استخلص « ابن زايد » روح التقليد الأصيل في تعبير أصيل ، لأن فلسفته الأخلاقية ترنو من قاعدة وتشكل نظرية اجتماعية :

من لا يؤمن جاره

لا يأمن على داره

الأخطار التي نلّم بالجار ، تنتقل الى الجار الآخر ، سواء كانت الأخطار عدوانية أو وبائية ، فمن يؤمن جاره يحصن نفسه .

هذه مجرد أمثال ثلاثة من أخلاقيات « ابن زايد » ، وهي تشير التداعي الكتابي إلى البحث عن فلسفته الاجتماعية ، وكيف يشير الى نفع التعاون :

قال ابن خولان حفي صاحبي

ذي ما معه حق ما حد صاحبه

التعبير الحرفي يدل على أنانية المالك ونهافت المستجدي ، لكن « ابن زايد » لا يقف عند الحرفية ، لأنها الماح الى سواها ، يريد بالحق القوة البدنية للقتال مع الجماعة ، والثروة لنفع الجماعة بدليل هذا المثل :

ذي ما يجيب داعي الصوت

بدعي وما حد بجيبه

ومن يغيب ساعة الصديق

بغيب وما حد برده

على استقلال هذا النص بمعناه ومبناه ، فانه يلقي إضاءة تفسيرية على الذي قبله ، لواحدية التجربة الاجتماعية . . فمن لا يجيب داعي الجماعة ، لا يجد من يجيب دعاءه ، ومن يغيب ساعة الاحتياج إليه ، لا يحس أحد فقده ولا يأسف على غيابه .

فالروح الجماعية تتأجج في حروف « ابن زايد » ، لانه من بيئة زراعية ، توارثت التعاون الجماعي جيلاً عن جيل : إذا دهم السيل بيت أحد ، أنجدته كل البيوت ، وإذا صاح ملهوف ، تسابقت اليه الجموع ، الناس يذرون جماعات ، ويحصدون جماعات ، ويتقانون جماعات ، تجمعهم رنة الطبل ولمعات النار على الخير والشر .

لهذا يغنون جماعياً ، ويلعبون صفوفاً ، ويغتربون جماعات . ويؤوبون جماعات . . وهذا بفعل البيئة الشاقة ، التي تنتزع الرغبة من التراب ،

وتستنبت الحَبَّات بحبات عرق الجبين . فنظام التعاون مفروض بفعل الحياة ، ومرعي التقاليد بقانون الضرورة :

ما عود وحده يُلْصِي
إلا بعودين مع عود

هذه لمحة من التفلسف الاجتماعي عند الحكيم « ابن زايد » .

أما التجارب الزراعية ، فهو نبي أرضها ولغة عبيرها واخضرارها ، وأحلى نفحاته ، التغني بالأرض كأغلى ما يملك الانسان ، فإذا قال « ابن زايد » :
المال ، فالأرض هي الحرف والمعنى . . وعلى معرفة الفلاح بقيمة الأرض ،
فان « ابن زايد » يؤكد هذا المعنى في النفس ، ويبرهن عليه بالأدلة الحية :

المال ما يأكله ذيب
ولا زينه تضره

هنا يفضل الأرض لامتناعها عن كل الوحوش ، ولتحملها قوة الطبيعة ،
فلا تأكلها الذئاب كما تأكل الغنم ، ولا يضرها المطر كالناس والمواشي
والبيوت ، وانما تنبت في صبر وتشقق وهي تضحك ، وكل الأرض خيرة ،
قد تكون تربة أجود من تربة ، ولكنها كلها جيّدة إذا لاقت الجهد المتصل :

المال كلّ موارك
إذا لقي من يمونه
وان يصادف ولدويل
باعه وفالط رهونه

في أكثر من مثل يربط « ابن زايد » نفع المال بجهد الرجال ، فكما أشاد
بالمال كجذور للانسان اكتشف سر الاخصاب في ابداع الانسان :

حسبت مالي رجالي
وان الرجال ذي هم المال

قد يبدو التعبير ذاتياً ، ولكنه موضوعي تمحور الذات ، واجتر من خلالها
الحس الجماعي من خلال الذات ، حتى مشيب « ابن زايد » فإن له نصارة
الشباب .

الم بقل الفلاسفة : ان شمس الاصيل أغزر إبحاءاً الى النفس وهي آخر
عمر يوم !

اما اصيل عمر الحكيم ، فهو متلقى خيوط التجارب ، لان الاحجار التي
تساقطت من بناء العمر ، شيدت مداميك التجربة ، فإذا آخر الايام أبهج من
أولها ، لان كل البذور أنضجت ثمارها كما قال « ابن زايد » :

آخر زمانني خياره
من حين شُت عيالي
والمال ودى أثماره

هذه اللمحة تنتظم الانسان والأرض ، كالجذور وأصولها ، ومع كل هذا
فان « ابن زايد » يكرر الدعوة الى العمل في الأرض ، لفهر الضرورات
ولامتلاك الانسان حريته :

ذي ما يسرّح موحلات الأظلاف
ينجح زمانه للعرب تَلطّاف

لقد تنامت تجربة « ابن زايد » ، فأضاف الى عنصر التراب والانسان ،
عنصر أدوات الحرث كالبقر ، وقد عبّر عن « البقر » بنفس الدراية التي أحسّ
بها نفع الأرض ، فكلمة موحلات الأظلاف إشارة الى الاعتناء بعلفها ، لان
وحل أظلافها ، من وفرة غذائها .. ومن أجاد تغذية « الأثوار » الحارثة ،
أجاد تخصيب الأرض .. ومن امتلك وسيلة الاخصاب الترابي ، امتلك
حريته عن طريق الاستغناء عن الغير ، لان الحاجة تحمل على التلطف
المصطنع ، وهو شكل من الذل لا نوع من اللطف .

ان المال يموت بالاهمال ، فكما يتطلب الحرّاث الثّوب ، فان الأبقار
والأغنام ، تتطلب الراعي اليقظ الحنون :

قوم الغنم راعي السو
والثور قومه بتوله

القوم هنا بمعنى العدو في المصطلح الحربي القبلي ، فهم يدعون على
من يكرهون : (لك القوم) ، فكما ان الراعي السيء عدو الأغنام ، فان
الفلاح السيء عدو الأثوار ، وهي الامكانيات المادية للانسان الزراعي في
استنبات الأرض ، إذ لا تعطي كنوزها إلا لمن يُصَبِّحها «بالضميد» ، واحداها
ضمد ، أي ثورين يجمعهما نير :

ذي ما يصبّح بالضميد ماله
تصبح وتمسي في القرى عباله

ان « ابن زايد » يبرهن على المعروف ويزيده إضاءة تعبيرية ، ويؤكد على
التجربة الاعتيادية ، لإمكانية نسيان المعتاد ، إذا لم تنهض فيه الفكريات
الخصبة الدلالة .

لهذا أصبحت أقوال « ابن زايد » : تذكير الناس ، وتأكيد الذكرى . . لأنه
نقل ما في باطن الناس الى أسماعهم وافهامهم . . فكما فلسف قيمة الأرض
وثمن الجهد وغاية التواصل ، دل الأجيال على علامات المواسم وعطائها
وإخلافتها :

ريح الخريف العوالي
والصيف شرقي هليله

يراقب الزراع الريح ، فإذا استمر هبوبها خريفاً من ناحية الغرب ، تأكدوا
من طيب الموسم الخريفي ، وإذا هبت صيفاً من ناحية الشرق ، أيقنوا
بالسقاء الصيفي . . لأن سحائب الصيف الممطرة ، تتكون من الغرب فتزيد
تراكمها ريح الشرق ، وبالعكس الخريف . . أما ريح الجنوب والشمال ،

فهي علامة الجذب وتسمى ربح « الدبور » و (الشمال) يتردد بها أهل الصحراء الحارة ، ويتشاءم بها سكان الأودية والهضاب . . فالعوالي عند « ابن زايد » الريح الغربية ، والهليله الريح الشرقية ، وعلامة سخاء الصيف الهليله ، وعلامة سخاء الخريف العوالي ، وكلما كانت أعنف ، كانت أدل على رخاء الموسم . . ولهذا سُمي ربح الخريف (الزاب) لقوة نشاطها وكثافتها ، وإلى جانب هذه العلامة على أهم المواسم ، يضع علامة لبداية كل المواسم :

التسع لازن دفا
ولا فهو من حد عشر

الدليل على بداية الربيع ، تساقط الرذاذ . . كما أن الدليل على بقاء الشتاء ، أواخر برودة الليل وعواصف الضحى .

على هدي هذه العلامة ، يعرف الزراع بداية الربيع ، كموسم بذر بعض الثمار : كالشعير والذرة الرومي ، باختلاف المناطق . . يلي شهري الربيع ، شهرا الصيف : الخمس والثلاث ، وهو موسم بذر الذرة ، لكي تواجه حر شهرين ، تسمى « البَحْرَيْن » بفتح الجيم . . ثم يأتي الخريف ، وفيه تسبل الذرة وتنبت على أمطاره مزارع : الشعير والقمح والعدس ، ويأتي حصادها قبل حصاد الذرة . . فشهر التسع أول المواسم حتى الشتاء ، على أن « ابن زايد » يشير إلى علامات استثنائية ، ويرصد الشذوذ في الطبيعة ، إلا أنه يعتمد على المؤلف من مسيرة الفصول ، وكما أرشد المزارع بعلامات ، أرشد المسافر خوفاً عليه من هطول الأمطار وحرارة الهجير :

أوصيك يا جَمال لا تسافر
عند مطلع سهيل
أو في مغيب الظواهر
يا الله جارك من مغيب الظافر

عنيت الأول ما عنيت الآخر الليل برْدُ والنهار هواجر

وكل هذه علامات مشهودة ، مطلع سهيل ، مغيب الظواهر الأولى ، طلوع
الظافر الآخر .. وهي أسامي نجوم : كعناوين لقراءة المغيبات وكنه
التحولات .

لقد أفصح « ابن زايد » عن تجارب الفصول على تعاقب القرون ، فكان
نبي الأرض ، وترجمان الرياح والنجوم .. وهو في كل ترصده للظواهر
يسجل اختباره : كمعرفة أو كنظريات معرفية .

فهل « علي بن زايد » واحد من الناس ، أو أنه رمز الأجيال اليمانية في
البحث عن الحكمة من يوميات الناس ومسيرة الأيام بانسجامها وتناقضها ؟؟

- ٤ -

بعد أن دلت بعض الملامح على أعراف « علي بن زايد » وحكمته
التجريبية ، يمكن البحث عنه شاعراً على أي نحو من أنحاء الشعر : سواء
« علي بن زايد » رمز الشعب ، أو « علي بن زايد » مؤسس فلسفة
الشعب .. على أنه يبدو شاعراً في أمثاله المسجوعة ، أو في أمثاله
المنظومة .. لأن السجع والشعر جنس واحد ، وإن كان السجع أقل إثارة من
الشعر فإنه متأثر به .. على أن الأسجاع قد واكبت الشعر وربما ظهرت
قبله .. فقد كان حكماء الجاهلية وكهنتها يبشرون وينذرون ويعلمون
بالأسجاع من مثل : « أكثم بن صيفي » و « عراف اليمامة » و « قس بن
ساعدة » .. ومن أمثالهم السائرة : « المنيّة ولا الدنيّة » و « النار ولا العار »
و « ثمره في كمره » و « هل تزني الحرّة » .

فقد كان للأسجاع تأثير الشعر ولها بعض شكله : كالقافية ، كختم لجمله
أو أكثر .. الفرق أن قافية النظم مطردة في القصائد وبعض الأراجيز ، وقافية
السجع مختلفة من جملة إلى أخرى كما في خطبة « قس بن ساعدة

الأيادي « : ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ان في الأرض لعبرا
وان في السماء لخبرا .

وفي هذا المناخ السجعي نزل القرآن الكريم فكانت أول سورة تعتمد على
السجع : كما في سورة القلم ، والمسد والمدثر ، وأغلب السور المكية .
ثم انتقل الأسلوب القرآني من السجع الى المزاجية بين الجمل في أغلب
السور المدنية ، لأن الآيات المتصلة بالمعاملة اعتمدت على التبسيط فيما
يتصل بالقضاء وتحليل البيع وتحريم الربا ، ثم خلطت بعض الصور من قبل
الفتح وبعده بين السجع والتزاج ، وعلى هذا المنهاج توالى خطب الخلفاء
وأسلوب التأليف والرسائل . . وامتد هذا النهج الى آخر القرن الثالث : هناك
نشأ من الشعر وتأثيره أسلوب [المقامات] ، فكانت كل مقامة قصيدة
مسجعة ، وأصبح هذا الفن شعراً محلولاً معقوداً بالأسجاع كعقد القصائد
والموشحات بالقوافي والمقاطع .

وبما أن « علي بن زايد » مجهول الزمان ، فإن أسجاعه وأمثاله تشبه
أسجاع كل العصور ، تشبه السجع الجاهلي من الناحية التعليمية كقوله :

الدهر هب به بهبه
والعمر ليلة وهربه

ويشبه أدب المقامات في مثل قوله :

يا من تدور من المشرق عشاء قد السلامة من المشرق غدا

وقد يزواج في جكمه التعليمية كقوله :

إذا معك جار مؤذي
فالصبر والله يزيله

فلا اعتماد هنا على تساوي الجملتين واختلاف القافيتين . كما أن بعض
الشعر لا يتجاوز النظم ، فإن لبعض الأسجاع تخيل الشعر وتصوره ، ولا

شك ان أسجاع « علي بن زايد » وأشعاره ، تعتمد على العقلية كفن تعليمي . . ودراسته كشاعر على مفهوم زمانه وبيئته ، لا على مفهوم شاعرية الشعر وشعرية النثر المسجوع .

إذن فما هو المسوغ لدراسة « علي بن زايد » شاعراً ؟

لعل أهم المسوغات : هو جمع الرجل بين العمل اليدوي ، والعمل القولي وقل ما اجتماعا . . ففي الغالب يختلف العامل في مصنع الأرض عن العامل في مصنع الحرف : ذاك يفكر بيديه ويعمل بيديه ، وهذا يفكر بقلبه ودماغه ويعبر بلسانه .

فهل يستطيع عمال المصانع الفكرية أن يعبروا عن العاملين في معامل المسامير والأدوات ؟

إن كل المجتمعات تتكون من عضليين وفكريين ، وقلما تجتمع المهنة اليدوية واللسانية في شخص واحد ، وهذا لا يمنع إجادة المفكر في التعبير عن حسّ العامل ، كما لا يمنع العامل من التمتع ببديعات الفكر والأدب وصنعها .

غير ان جمع « علي بن زايد » بين التعبير اللساني واليدوي من هذا النادر . . فقد كانت الزراعة مهنته العضلية ، كما كانت مهنته الفكرية : أجاد الحرث وأجاد التعبير عن معاناته ، وسجل تجاربه في أمثال سائرة لها أنفاس الشعر ، وفي مقولات اجتماعية لها طابع التفكير ، وفي أغاني ترددها الأجيال والأرض .

فهل « علي بن زايد » أول من عبر عن تجارب مهنته ؟

قبل أن تغمرنا أشعاره ، يمكن الإشارة الى أشباهها ونظائرها من الشعر الدال على المهنة ، وسوف نجد ابن زايد ذا فرادة في هذا الخصوص . . . روى الأغاني : ان حرس « الحجاج » قبضوا في ليلة طوارئ على ثلاثة رجال وخلوا سبيلهم بفضل ما أنشدوا من الشعر ، وعندما أبلغوا « الحجاج »

عن القبض على أولئك الثلاثة وتخليه سبيلهم ، قال « الحجاج » : ماذا قالوا ؟

فقالوا أنشد الأول :

أنا ابن من دانت الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي إليه الملوك صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها

فحسبناه من أقارب أمير المؤمنين ، فضحك « الحجاج » وقال : وماذا قال الثاني ؟

فقالوا أنشد :

أنا ابن الذي لا يُطرح الدهر قدره
وإن حظه يوماً فسوف يعود
تري الناس أفواجا على ضوء ناره
فمنهم قيام حوله وفعود

فحسبناه من أقارب أمير المؤمنين ، فضحك « الحجاج » وقال :

وماذا قال الثالث ؟

فرووا له بيتاً واحداً يدل على أنه يشق الصفوف بسيفه ، فحسبناه من أقارب أمير المؤمنين ، فقال « الحجاج » : لقد انجاهم الأدب والصدق ، فالأول ابن حجاج والثاني ابن قوالم والثالث ابن صانع .

وهذه التصوص الثلاثة تشير إلى المهنة ولا تسجل معاناتها من الداخل ، كما سجل ابن زائد اختباراته من خلال المعاناة في حياته وفي حياة الناس ، فمجرد الدلالة على المهنة لا يكشف خباياها ، وأكثر ما عبرت أشعار المهنة بالفخر الساخر أو الشكوى الساخرة ، كبراعة اجتماعية تستخدم التورية والجناس ، كما في قول « ابن الجزار » من شعراء القرن السادس هجري :

الا قل للذي يسأل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قومٍ كرام الفرع والأصل
ترجّيتهم بنو كلبٍ ويخشاهم بنو عجلٍ

فهذا في ظاهره فخر لأن « بني كلب » و « بني عجل » من أشهر قبائل العرب بالشجاعة ، ولكن المعنى البعيد يدل على [جزّارين] تخاف العجول من ذبحهم وترجو الكلاب عطاءهم من اللحم ، وهذا ما سمّاه البديعيون « تورية » لدلالته على معنى بعيد ومعنى قريب من ظاهر اللفظ ومرماه ، وفي نص آخر يعبر « ابن الجزار » عن مهنته بصراحة وتورية في الوقت نفسه :

كيف لا أذكر الجزارة ما عشت جفاظا وأهجر الأديبا
وبها كانت الكلاب ترجّيني وبالشعر صرت أرجو الكلابا

فهناك كلاب حقيقية ترجّيه ، وهنا كلاب مجازية يرجوها : الأولى الحيوانات المعروفة بالكلاب ، والأخرى أمراء عصره الذين يستجديهم بالمديح :

فهل هذا يدل على جمع بين المهنة اليدوية والمهنة القولية ؟؟ لقد عبر عن المهنة بعد انقطاعه عنها ولا تكفي الإشارة الى المهنة ، وإنما التعبير عن اختبارها ومعرفة الناس من خلال هذا الاختبار ، وهذا ما توفّر في أشعار « علي بن زايد » وأمثاله ومقولاته وأعرافه ، لأن تجاربه تجاوزت الزراعة الى نفوس الزارعين ، وتواصلت مع النجوم كعلامات على المواسم ، وأول ما نلاحظ موقفه من الزمن ، أو استيقافه لحركة الزمن ، تارة برموز الوقت كالنجوم والشمس ، وتارة بالوقت نفسه :

جيت أطوف النبات والشمس قامه بقامه
قلت ما حلى الندى من فوق صدر الحمامه

الشمس والندى هنا رمز للوقت ، والمكان هي المزرعة المشبّهة بالحمامة أو المسماة بالحمامة على تسمية الحقول . . فهذه البوحة الزيادية نفثة غزلية

بالأرض وهي في أحلى مواسمها ، وفي أنضر أوقات مواسمها ، ولعل
الجمال الشعري يتجلى في ثلاث عبارات :

الشمس قامه بقممه

فوق صدر الندى الحمامه

الوقت هنا أول الضحى ، وأول بزوغ النبات الموسمي .. وهذه
الجماليات تنبثق عنها جماليات ، فالموقف من الزمن موقف غرامي باللحظة
والتربة ، الأرض ، والندى يمتد على صدرها الأخضر . والمواقف الغرامية
تخرج مع الزمن من الهنا الى الأسى ، كما في هذا الموقف :

يا نجوم العلب يا ناشرات المطم
الذره مزغبة والبيبي بيت أمه

هذه صرخة في وجه الزمن ، لأن العلب موسم المطر يهرب من لحظاته ،
والذرة كالرضيع بلا مرضعه ، والبيبي أي - الهدهد - لم يطلق صوت البشير
بالمطر .

أما هذه صبيحة مرارة من عقم الزمان في انتظار خصبه ؟

بدليل مرور نجوم العلب وسكوت البيبي ؟ ، وهذا الطائر خبيث الرائحة
هو البشير بأغداق السحاب ، وقد سمّاه المزارعون « بيبي » من ايقاع أنغامه
- يب يب - .

فهل « علي بن زايد » أول من أطلق هذه التسمية ؟

ان اشتقاق الأسماء من الأشكال والأصوات والألوان قديم : كالقطي الذي
جاء اسمه من ايقاع صوته وسهره - قطي قطي - . . . لعلي بن زايد موقف
زراعي من الزمن ، يختلف باختلاف سخاء الزمن وشحه كمزارع ، وله من
الزمن موقف كواحد من الناس بمعزل عن مهنة الزراعة كقوله :

يقول علي بن زايد يا حيرتي من زماني
أمنت من حيث ما خاف وخفت من حيث أماني

هذه من التجارب المشتركة بين أصحاب الفن القولي وأصحاب الفن العملي ، وهي الدليل على صدور « ابن زايد » من مناخ شعري ، فما أكثر الأشعار التي تشكّت من الزمن وحارت من تصرفاته ، لقد أمن « ابن زايد » من المخاوف المتوقعة ، وخاف من مظنات الأمان .

الا يشبه هذا قول ابن زيدون ؟

ولقد ينجيك اغفأً ويردبك احتراسُ

وما أكثر شكوى الزمن عند الشعراء .

إلا أن « ابن زايد » لا يقف موقف الشاكي الى الزمن منه ، وانما يشير الى التغير مع الدهر بالدهر .

يقول « علي بن زايد » :

الدهر قلبه بقلبه

قلب مع الدهر حظك

واقلب مع الدهر تلقاه

في مقدور الانسان أن يتغير على تغيرات الدهر ، ولا يستسلم لسوء حظه ، وانما يفتش عنه في الزمن السيء ، وينقلب معه الى عكسه لكي يجد حظه بفعله لا بفعل الزمن ، و « ابن زايد » يصدر هنا من مناخ شعري .

ألم يشر « المتنبي » الى تقلبات الزمن على الأوائل والأواخر :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عانا

وتولوا بغصة كلهم منه وان سر بعضهم أحيانا

ربما تحسن الصنيع لباله ولكن تكدر الاحسانا

إذا لم يقل « ابن زايد » كشعر « المتنبي » ، فانه يصدر من مناخ شعري ، ولكن بإمكانه الخاصة وأدواته الامكانية . وواحدة المناخ تنتج عدة مواهب وعدة تعابير عنها ، فابن زايد لم يتجاوز بيئته الزراعية وتجارب أهلها ، ولكنه

يشارك في الجو العام الذي حلقت فيه أجنحة الشعر ، والفرق بين أشعاره
وأشعار المنقطعين للشعر ، كالفرق بين غصون الأودية وغصون البساتين ،
وكالفرق بين النبات البري وبين زهور الحدائق . . قد يكون « ابن زايد » أقل
خصوصية ، ولكنه يأتي من أصالة تجريبية ، كما سوف نرى موقفه مع
الحيوان ، وقبل تجلّي قسَمات هذا الموقف نلاحظ مشاركته غيره في مؤاخاة
الحيوان ومساجلته أسرار النفس ؛ ألم يتحدث « عترة » إلى حصانه ويستمع
إليه :

فازور من وقع القنى بلبانه
وشكى اليّ بعبرة وتححم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي

هذا « عترة » مع حصانه وله أشباه : منهم « ابن زايد » مع أنواره :
ان البقر تعرف نهيم الابتال وتعرف الراعي وصاحب المال
فالبقر عند ابن زايد كخيول الفرسان ، تلك تعرف فرسانها ، وهذه تعرف
الحارثين بها ، وقبل الاستمرار في الموقف مع الحيوان تفرض ظاهرة في أشعار
« ابن زايد » الوقوف عندها كجزء من معجمه الشعري .

يقول « أناطولي اغار يشيف » في كتابه « أحكام علي بن زايد » إن أكثر
أشعاره تبدأ : يقول علي بن زايد .

ولكن اغار يشيف يعتقد أن عبارة : يقول علي بن زايد ، مجرد لازمة
افتتاح يمكن حذفها من كل الأبيات باستثناء البداية ، فهو يقيسها على
البسمة عند من يرى أنها افتتاح للقرآن كله وليست آية من كل سورة ، وهذا
لا يصح قياساً على أشعار علي بن زايد . فعبارة « يقول علي بن زايد » جزء
من البيت ومن الأبيات من أمثال قوله :

يقول علي بن زايد لولا القضاء عشت بالدين
ليل العيون يشتي النوم ليل القضاء يشتي الدين
فلو حذفنا : يقول علي بن زايد من هذا النص لانتزعنا الشطر الأول من
البيت الأول .

وهذا ينطبق على أكثر الأبيات ، لأن عبارة : يقول فلان ، أو قال فلان ؛ من
التقاليد التعبيرية في شعرنا الشعبي . فبعض قصائد « سحلول » تبدى :
(يقول سحلول) أو قال سحلول ، وقصائد « عبد الله الكبسي » يمد بعضها هذا
التقليد من مثل قوله :

يقول ابو آدم الكبسي من الحرقه
عقلي وقلبي على شعب اليمن محروق
وربما شارك الشعر المتونى في تكريس هذا التقليد ، كما في متن
(الجزرية) « لمحمد بن الجزري » :

يقول راجي عفور بن سامع محمد بن الجزري الشافعي
ومثل الجزرية (ملحمة الأعراب) التي بدأها « الحريري » بقوله :
أقول من بعد افتتاح القول
بحمد ذي الطول شديد الحول
وعلى هذا فعبارة : قال ويقول ، تدل على أهمية القول وموضوعه ، أو
على حساسية خاصة عند الشاعر ، كما في قول « أبي فراس » :
أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتنا هل تعلمين بحالي

وهذا على سبيل التمثيل لدلالة القول ولاعتباره جزءاً من الأبيات وإن تكرر
في عدة موضوعات ، كما عند « علي بن زايد » ، على أنه يدخل أحياناً
مباشرة الى القول بدون تمهيد يقال أو يقول : مثل :

إذا البلس بحرق الحلق ان اللبن ذي دواله

وعندما يبدأ يقال أو يقول فهو للفت الانتباه الى الأهمية ، حتى في موقفه من الحيوان الذي نحن بصدده :

يقول علي بن زايد نخس البتول ينفع الثور
بعض الرجال مثل ثوره والثور أصبر على الجور
هنا اكتناه لسر الحيوان وصبره على أثقال العمل الذي سماه الشاعر :
الجور . . فبعض الأثوار أكثر ذكاء من أهلها ، وهي أفضل من بعض أهلها
لقوة احتمالها على العمل ، فالثور هنا يُعطى صبغة التفضيل على صاحبه لانه
أصبر ، وقد يُعطى صبغة تفضيل ضمنية على المرأة ، لأنها أخرت الغذاء
فليس له من يشكو اليه إلا الثور ، ولا يمكن تفسير النص الآتي الا بمعرفة
جوه ، عندما يحين وقت الغذاء يقف الفلاح على طرف المزرعة متطلعا الى
وصول حاملة الأكل ، فإذا لم يلمح قدومها شق ثلماً آخر ، وهو ما يسمى
بالرد من طرف الحقل الى طرف آخر ، وصل ابن زايد الى طرف الحقل ورنا
بعينه الى الطرف الآخر فلم يلمح حاملة الغذاء ، فقال لثوره :

الرد يا مالي الرد عاد المره ذي نهرد

أي تترين بصبغة صفراء (البهرد) .

وارتد الى طرف الحقل ، وهناك أعاد النظرة فلم ير أحداً فأعلى صوته

بهذا القول :

زارت مرة بنت مذود وبعضهن برّ أجرد

في البيت الأول شكى الى ثوره ، وناداه : يا مالي ، كأحنى صديق وأغلى
رفيق ، وفي الثانية صبّ غضبه على المرأة ، وكان الثور يشاطره الغضب ،
وفيه ساوى بعض النساء بالبهائم (بنت مذود) وشبه بعضهن بالقمح الأجرد
أي - كثير الحبوب قليل الحشف وهي إشارة الى وفرة المحاسن في الانسان -
مثل تعاطفه مع الثور والشكوى اليه ، التعاطف مع البهيمة كحاملة لأدوات
الحرث . وأكوام الزرع بعد حصاده ، وكحاملة لقرب المياه وتسمى : دابة أو

بهيمة ، كأنثى من فصيل الحمير ، وبعض المناطق تسميها حمارة والمذكر حمار ، وفي هذا الصدد الحيواني يقول « علي بن زايد » في الدابة :

يقول علي بن زايد يا دابتي يا سعاده
يا أمنا بعد أبونا ما يطلع الماء من البير
الا البهام الطرايا والا البنات الصبايا

فالبهائم تشارك النساء في منح الماء من الآبار ، الى جانب حمل الغلال والأدوات والمياه ، وهذا البيت وما يشبهه من أغاني الحراثة ، أو من مهابد السواني ، ولا يؤدى في غير هذين العاملين ، فهو يلحق بأناشيد العمل : كأراجيز الحروب ، وأراجيز حفر الآبار في الشعر القصيح . . ولعل هذا الفن يساعد على مواصلة العمل وينفس عن النفس مرارة التعب ، لأن الغناء العملي للبشر ، كالحداء والزجر في تنشيط الخيول والابل ، وأكثر أشعار ابن زايد من أغاني العمل في التراب ، ومن حداء العمل في حصاد الغلال والحشائش ، وإن كان يعبر عن شتى ميادين الحياة ، وقد سبقت الإشارة الى تفلسفه في الحرب ، وهنا يمكن تلمس موقفه من الحرب باعتبار كثرة دواعيها لحماية الأرض وصد المغيرين عنها :

يقول علي بن زايد لا عاد ذي ما يجازي
على الصنيعة صنيعه وبالمفازي مفازي

فهو هنا يرى ضرورة الاقتحام كرد على اقتحام ، أو لمنع اقتحام ، لأن الذي لا يغزو سواه يغزوه سواه ، وبالأخص عندما تتوافر ظروف التعادي وتسفر نية العدوان عن وجهها .

وابن زايد هنا يصدر عن المبدأ الشعري العام وعن نفس المناخ الحماسي ، كما يقول الحماسي الأول :

عفونا عن بني دُهل وقلنا القوم اخوانُ
فلما صرَّح الجهلُ وأمسى وهو عُريانُ
ولم يبق سوى العدوان دنَّاهم كما دانوا

فالحماسي وابن زايد يتفقان في النظرة ، ويتقاربان في شكل التعبير ،
رغم الفرق بين اللغتين أو شكل التعبيرين . . لكن الحروب قد تحدث بين
الأخوة . فهل تختلف عنها مع الأعداء ؟ عبّر عن هذا (البحري) أجمل
تعبير :

إذا احتربت يوماً وفاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

وعبّر عن هذا ابن زايد بنظر أبعد :

يقول علي بن زايد
حربي وحرب ابن عمي
مثل الوجع في الصوابر
أو مثل مقرانة السبع

ما بين « بجما » و « عاصر » .

على شذوذ هذه الحرب فهي تبدو من الأعراض الممكنة الحدوث :
كصداع الرأس . بل وتبدو كطبيعية ؛ كمقرانة السبع على حد تعبيره ، أو
كأمطار الربيع على حد تعبير الطبيعة .

الم يصدر ابن زايد عن تجربة عامة ؛ احترق بها وسمع عن أخبار
المحترقين؟؟ .

لهذا تجاوزت فلسفته خبرة الحقل وأهله ، وإن قامت نظريته على
أساسها ، فتأمل الإنسان بما ينطوي عليه من بدايات وعواقب ، وكانت رؤيته
إلى هذا المنظور ، كرؤية « زهير » الذي عبّر بمن ومن ، ولكن منعمة ابن
زايد تأخذ الأولوية ، لأنه محور البحث :

من قارب الكبير يحرق	ولاً امنلا من غباره
من قابص الناس يُقبص	وان قُبصر لا يقل آخ
من كان أبوه يظلم الناس	كان القضاء في عياله

لم يستهل أي بيت من هذه الأبيات بعبارة : يقول علي بن زايد ، لأنها أفكار مجردة صاح موضوعها وسكت ذاتيتها ، وهذا تعبير شعري موروث يستهدف التعليم .

سئل رسول الله من أشعر الجاهليين ؟

فاجاب : الذي يقول مَنْ وَمَنْ وَمَنْ . . إشارة الى « زهير » الذي يقول :

ومن لم يزد عن حوضه سلاحه

يهْدُم ، ومن لا يظلم الناس يُظلم

ومن كان ذا فضل فيخل بفضله

على قومه ، يستغن عنه ويُذمم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ، ومن لا يتقي الشتم يُشتم

إذن فابن زايد الرمز ، أو ابن زايد الشعب ، يصدر عن مناخ شعري فلسفي تشكل فنيته : من بدائية التراب والمرعى ، ومن الحس بقيمة الوقت وحب الناس والحيوان ، كما تشكل موضوعيته : من تجارب الحياة والناس ، وان كان الفن التعليمي يغلب على هذا الشعر ، فان لأفكاره شاعرية التجربة ، لانه شعر حكيم يتوخى الإفادة لا الاطراب كتعليمات « صالح عبد القدوس » ونقديات « المعري » ، ولان بعض أشعاره أغاني عمل ، فان بعضها فلسفة عمل ، فلها من الابداع الفني صحة النظرة ومن الحكمة ثقابة النظر .

عبد الله البردوني

من أغاني الحرث والبذر

- ضروب النشاطات الزراعية والتنبؤات الجوية

- خصائص المكان والنبات والحيوان

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

رفع وتصوير

مختار محمد الضبيبي

١

ما رَيْثُ مِثْلِ الزَّرَاعَةِ
ما رَيْثُ أَنَا مِثْلُهَا شَيْءٌ

٢

الْوَقْتُ كُلُّهُ مَتَالِمٌ
غَيْرُ الْمَذَارِي لَهَا أَوْقَاتٌ

٣

تَلُمُ الرِّجَالِ الثَّابِتِ
يَقْلَعُ الزَّيْلُ النَّابِتِ

٤

إِشْ يَبْعُدُكَ يَا زَيْلُ يَا نَوْبَانِي
حَلَى الْعَتَمِ وَالْعَبْلَةِ الصَّنْعَانِي

٥

مَنْ لَمْ عَلَى الْبَيْضِ يَنْتَلِ
وَلَمْ يَغْلُسْ وَيُنْكَرْ
لَا بَخْتُ لَهُ فِي الزَّرَاعَةِ

٦

ذى ما يَشْتَى ويخرف
لا بَخْت له في الزراعـه

٧

يا ذيب إذا كنت حاذق
بتلت في وَسْطَ مالك

٨

يا الله لا أخنا نـسافر
ولا معانا تجاره
تجارتى عَوَجُ الأعرام
والفرس بعد العماره

٩

بتله على ثور زاحف
أخبر لى من تجاره

١٠

كُلِّين سَرَح تَبَّتْ مَالِه
وأنا على الباب جالس
عيني الى كل الابطال
من يُبْكر أو من يَغْلُس

١١

ما شَغَبَ إلا من ازوَع
من عَلَفَه وَسَطُ بَيْتِه
وَالْحَبُّ بِمُخْزَانِه ارجع

١٢

يا عَيْن لا غَرْكَ اللهُ
لا تُخْضِرْهُ إلا عَلَى ماءٍ
إِما عَلَى غَيْلٍ سَرَّاحٍ
وإلا عَلَى بَيْرٍ حوما

١٣

جَهَمَ العَنْبُ فِي خُرُوجِهِ
ما بَيْنَ كَرْمِهِ وَعَنْقَاذٍ

١٤

يا جَوْلِبُهُ قَوْلِي لِأَهْلِ الْأَعْنَابِ
ذِي مَا يَلْقَحُ مَا يَذُوقُ التَّوَكُّابِ

١٥

قَبَسَ العَنْبُ فِي خَدْعَشْرٍ
وَالسَّبْعُ تَبْدَى كَرُومُهُ

١٦

ما يَنْفَعُكَ طَوْلُ مَسْقَاكَ
إِذَا اللَّيَالَى جَدِيدُهُ

١٧

أعرّام مالى حصونه
إذا نزل سبيل بالليل
أفسيت سالى شجونه

١٨

طيافة المال عماره
إذا لقي خُزق عكبر
ولا تفقد حراره

١٩

طيافة المال عماره
إما تنهنه من الصيد
ولا تنقُ ججاره

٢٠

إذا نظرت البارق الكوماني
أبشرك بالسيل يوم ثانى

٢١

اينما خلّت السبع خلّيت

٢٢

التسع لا زن دفا
إلا فهو من خدعشر

٢٣

إذا لم الخمس تمطر
ما ينفعك ليلة ولا شئ

٢٤

نصف السنه تسعة اشهر
والنصف الآخر ثلاثة
التسع والسبع والخمس
تبان فيها العيافه
لا سمن فيها ولا بر
ولا غنم للضيافه
أما الثلاث قد بها بر
الله يجمّل ويُسّر

٢٥

يا غارتاه يا الثريا
معالم الصيف زلت

٢٦

قدمت مالى تؤخر
مذراه صفو الثريا
تسابق النجم الأحمر

٢٧

ريح الخريف العوالى
والصيف شرقى هليله

٢٨

نويد بعد الغدا خلف
زاب الخريف العوالى
والصيف شرقى هليله

٢٩

لا تكرهو يا مذلّة
فالصيف مجعارة أرنب

٣٠

يا نجوم العلب
يا ناشرات المطمّه
الذره مزغبه
واليبي بيت أمه

٣١

إذا زُحل في العقارب
فالثل يا أهل العقاره
وخذ من العيس بازل
وانزل نواحي سُمّاره

إذا زُحِلَ في العقارب
 أمسى على البدر داره
 الشِّلُّ يا ولاد عَمَّارُ
 لا تمسوا إلا نماره
 قَرَّبَ جَمِيلَكَ وَزَهَّبَ
 وإنزل نواحي سُمَّاره
 وافعل سلاحك شريمين
 ونصف ثوبك غِرَّارة

معى من الوقت إمارة الفجر
 إذا أصبح أحمر ؛ فهو يغزر المطارة

ما في النجوم إلا سهيل

أوصيك يا جَمَّال لا تسافر
 عند مطلع سهيل
 أو في مغيب الظوافر
 يا الله جارك من مغيب الظافر
 عنيت الأول ما عنيت الآخر
 الليل بارد ؛ والنهار هواجر

٣٦

على يقول بن زايد
لقيت أنا اليوم غلّة
بين العِساسِ المِظلة
شبرت شبرين مطلع
ولاني براس البنية
فمنهن تجلّى الهم
ومنهن دار عله

٣٧

ما يسير المد الأخضر
إلا بمدّين يابس
ولا تمدح لمحتاج
بصبح على الباب جالس

٣٨

جحر العلب يا محمد
قطع سبول العناقيد

٣٩

يا مقبله من يعودك
يعودك البرّ الاحمر
والرازقى في ردودك

٤٠

الله يسقيك يا عيانه
سَئِيل ما يبرح سنه

٤١

البرد حَلْ المصانع
ومسكنه بيت عُلمَانْ

٤٢

قولوا لمن ماله مدافر النيس
يملى مسنّه ويسير جبل تيس
يدى سباعى للحرور والخيس

٤٣

عواقب البرد الاخلاف
هبت نويد المنضخ
وصلبه كل ناضح ومارح

٤٤

إن كنت هارب من الموت
ما احد من الموت ناجى
وإن كنت هارب من الجوع
أهرب سحول ابن ناجى

٤٥

ما في المدن غير صنعا
وفي البوادي رصابه

قَرَّاشَهَا ذِي تَرَوْخٍ
تَرَاهُ مِثْلَ السَّحَابِ

٤٦

مَا فِي الْقُرَى مِثْلَ حَدِّهِ
فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
وَقَضْبِهَا لِلْمَهَارَا
وَالْبَقَرَاتِ الْحَوَالِبِ

٤٧

مَارِثُ شَيْءٍ مِثْلَ حَيَّكَانٍ
أَوْ مِثْلَ ضَبِيعَةِ عَوَائِشِ
الْمُسْبَلِيِّ بِشَيْعِ إِنْسَانٍ
وَالْتَلَمَّ يَدَيَّ غِرَارِهِ
الْجَامِلَى فِي عَذِيقِهِ
وَالْبُنَّ فِي وَادِي أَخْرَفِ
أَمَّا الشَّعِيرُ فِي الْمَدَارِ
وَالْيَ تَفَاضِلُ وَالْيَ ضَافِ
وَالْبِرُّ فِي وَادِي أَحْوَرِ

٤٨

مَا مِثْلُ قُرْوَا وَمَسُورِ
وَالسُّرِّ لَوْ كَانَ يَمْطُرُ
وَذَاكَ سَعْوَانِ الْأَغْبَرِ
وَالضُّهْرِ لَوْ يَسْلَمُ الثَّوَرُ

يا نازلي الجمعة ومنزل
 ما معك فوق الجمل
 حملت رمان أو سفرجل
 من غروس ابن البجل
 هيأ معي شانتزل ألهان
 يا صعيـف الجـلـجلان
 خيلت أنا بارق على ألهان
 ظلت أتلامه ملان
 الله يسقيك يا عيانه
 سيل ما يبرح سنه

الله يسقى قضب عكام
 من دخل بيته يلام
 وانت يا قضب الرباص
 ظلت اتلامك ملان
 يسقيك يا هيمان الاخضر
 لا برح منك المطر

أنا من الدهر ما خاف
 معي ميه غرس حبله
 اطراف في زيل يكللا

والرازقى إذا بُلِّه الماء
والحاضنه ذبل الأطراف
والمسقوى لا ترده
إلا على ذبل واخراف

٥٢

يا أهل العُبر يا أهل مسوز
يا أهل الغروس الرواجى
يا أهل الضميد السوارح
أهجاجها صرصرية
يا أهل الجرب عوج الاعرام
تَشْرَب من أول نهيه

٥٣

ما هالنى مثل حيكان
أو مثل رقه عوايش
والآ العميس تحت عِزَّان
والحلحله تحت نيسان
ووادى ذى قاسم احيان
والواسطه واليونيث
وذى على تحت ضوران

٥٤

بالله يا بيض منكث
كثر الكلام قدرينه

قدره تغدت بمنكث
وامست تعز المدينه
والله يا راس بدره
لاقلكن ما ترينه

٥٥

لو خيروني بالمُهَلَّا
غُرس في وادي بنا
ولا ميه بكره بموزع
مطلع سنّ الربع
لو خيروني به بلاد اسلع
وزادوا لي رَمَع
ما اخترت غيرك ياذا المولع
يا الذي حبك قطع

٥٦

يا ليت جهران قفوعه
وغيل يَكَلَى مرق ثور
والْحَيْد الاحمر حوايج

٥٧

ظفار عالى المناظر
ذى دورها في سواده
مثل النجوم السوامر

لا رعى الله قُباتل
ولا رحم من بناها
ذريت بتسعه وتسعين
جئت الميه لا سواها
ومن خبائه قُباتل
سوى المساجد وراها

لا تسهنوا يا شفاليت
ان الزراعه دليه
تريد ثورين جيديين
وبيت دافى وجيه

لولا البقر ما ركبت عمايم
ولا بنى مسجد ولا دعايم
ولا طلع باشا من التهايم

إتلم بمدين وإلحق كسرير
واعلف طليين
إن جين إغنين
وإن راحين ما يفقرين

٦٢

لا تجعل الغنم راس مالك
ولا تخلها من ديارك

٦٣

خبر البقر تحت الامجاع
وابتالها في عباصر
ما خبرها في الحويه

٦٤

قبحي لمن ليس يملك
لا جاء ماضى ولا مال
ولا غنم في الزريبه
يبيع منها ويكتال

٦٥

القضب سلطان الابل

٦٦

ثور القبلى حصانه
قم يا على غد ثورك
ولا تميل من قباله

٦٧

والله ما ابيع ثورى

ما دامت الريح تَقْلِبُ
شرقى وقبلى عوالى

٦٨

بيض البقر مثل الاشراف
والحمر مثل السلاطين
والسود ما طاب منها
مثل العبيد المعاليك

٦٩

ان البقر تعرف نهيم الابل
وتعرف الراعى وصاحب المال

٧٠

ان البقر تضمد اجناس
الثور إذا زاد بنانه
على ضوئه فقد جار

٧١

يا ثورنا طال عمرك
عمر الهلال اليماني
في آخر الشهر شبيه
واصبح ولد يوم ثاني

٧٢

يا صاحبي يا رفيقى

هيا معي قفر حاشد
نَدَى من البقر البيض
سود النخر عوج الاكتاف

٧٣

نخس البتول ينفع الثور

٧٤

يا من معه ثور حاسر
يدعى من الحر : ياباه
من سرح البيض رُوخ
أيضاً ؛ ولو كان راعى

٧٥

يا ليت للعين مارت
والقلب له ما تمنى
على تبيعين حيدين
وبيت وافي وحيه

٧٦

قوم الثور راعى السو
والثور قومه بتوله

٧٧

يا دابتى يا سعادته
يا أمنا بعد أبونا

ما يطلع الماء من البير
إلا البهام الطرايا
والا البنات الصبايا
يا عجله يا ام مخلب
مخالبك من حديدا
أما الجعير حق طلحه
حُميمه طارت البير
يا سافع الحق وراها

٧٨

هبت لقاح الصغيره
وعاد زرعى بوادى
اما لقاح الكبيره
مقربة كل وادى

٧٩

الضبان خير المواشى
ذى لا تعشى ولا شى
إذا برق بارق الصيف
أمست حبالى وناشى
وإن برق بارق الضيف
أمست قدوره رواسي
وإن برق بارق الخوف
أمست بروس العشاشي

من بذرّها السمن والصوف
ومثربات الكباشي
ولا تغاب شمس يومه
إلا ومن بذرّها شي

٨٠

الذيب لو كان عراف
دبّر أموره وقيس
الذيب ما ياكل الشاه
إلا إذا الراعى أهيس

٨١

يا باديه يا مطله
من راس نوبة بهران
ما شان ذا الصوت ما شان
قالت لنا صوت راعى
الذئب يعدى على الضان

٨٢

يا جاريه قولى لسيدى أحمد
لو ما البقر ما احد طلع على حد
يا جاريه ما جوّد الله مولاش
سار اليمس يا جاريه وخلّاش

حرمت ثور المضاوى
 قتلت نفسى وثورى
 من شان نستوفى الضاه
 واديت نفسى وثورى
 وكل يوم والمداعاه

يا ليت لى قلب سالى
 أشغب على الثور الأبيض
 ولا علياً ولا لى
 شغب الشتا يا مليحه
 شغب الشتا سيف الابطال

ما يجبر الفقر جابر
 غير البقر والزراعه
 وإلا الجمال ذى تسافر
 يَقْبَلُ بكل البضاعه
 وإلا مره من قبيلى
 فيها الورع والقناعه
 تدبر الوقت كله
 كأنه معاها وداعه

تجيعنا حين تشبع
والشُّبع وقت المجاعة

٨٦

يا بنت علي بن زايد
يا عاقله يا وطيه
يا قافزه سبعة اجبي
والثامنه في الحويه
يا قاطعه قاع سُهمان
على مطيه نظيه

٨٧

ماشي مفلّك مثل اليببي
إذا جهم اخرج الحوتى

٨٨

معى خضير ابن ابا القيس
سقاء من قاع ذى سحر

٨٩

من سُرْح البيض رُوح
أيضاً ولو كان راعى

٩٠

من لم يسرُح موحلات الاظلاف
ينجح زمانه للعرب تِلْطَاف

٩١

وانا احمذك ما لمع برق المَطر
او ما سقى من شهاره لامراء

٩٢

يا سانياً يا معذب
يا مبتلى بالهموم
قبحي لمن قد عالج العليله
او من طلب حاجه من الذليله

٩٣

الشَّغَب لا ما اتغدا
ان جيت انا والغدا جيد
ارزم يمانى وشدا
وان جيت انا والغدا فسل
اشلها لا توطا

٩٤

سحابة الشمس غابت
وانا بجرن المحلة
جالس قذا البر الاحمر
والبر لم يرتحل له
وكيف ما رحت احمل
تَكْسِرُينِ الاخله

وصرت اطلب خلائين
من العشاش المظله

٩٥

جيت أطوف النبات
والشمس قامه بقامه
قلت ما جلى الندى
من فوق صدر الحمامه

٩٦

سيل الروابع إذا جُمى شل الخشب

٩٧

يا من تدور من المشرق عشا
قد السلامه من المشرق غدا

٩٨

ما شام إلا حيمى
وما جلجلان إلا ريمى

٩٩

لو شغب مالى دسومه
تميت مالى بيومين

١٠٠

ياذا الجمال يا نازله لابن راجح
حملين زبيب اخضر وحملين رامج

١٠١

إذا اليهودى تحنًا
في وقت عيد الخضير
إتلم ولا عاد تأخر

١٠٢

قدّمت مالى توخر
مذراه صفو الثريا
تسابق النجم الأحمر

١٠٣

يا أهل الغنم يا مساكين
إن تمطر السبع والخمس
ولا فتمطر سكاكين

١٠٤

يقول على بن زايد
عندى تقوم القيامة
ولا حنين المجارد

١٠٥

يا مقبله من يعودك
يعودك البرّ الاحمر
والرازقى في ردودك

١٠٦

معى وجع في المفاصل
من أجل مقرانه السبع
ما بين كرما وعاصر

١٠٧

قبحى لمن باب بيته
على طريق المجرة
مجرة الخيل والرجل
أما المطر هو مسره

١٠٨

بالله يا طير بين اثيين
يا رادم الريش يا حالى
يحكو عن الشام بير ائله
وفي اليمن جبلة الغنا
يا رادم الريش يا حالى
يا نازلى ثبت وادى اخرف
سلم على غصن الابنانى
يا ليتنى طير واعلى
واسايرك يا حسين الحال

١٠٩

ما خير إلا بمنكث
للجن والناس والطير

إذا البَلَسُ يَحْرِقُ الحَلَقُ
فإن اللَّبَنُ ذِي دَوَا لَهُ

نظرات اجتماعية

- القضاء .
- العلاقات الاجتماعية .
- العادات القبلية .
- الأقارب .
- الملكية .
- الدين والدفع .
- الإرث .
- العائلة .
- الضيوف والمضيفون .
- القيم الأخلاقية

١

خيار الأحكام الأصلح
يدو من الدّين نصفه
والنصف لا راح له راح

٢

باب الشريعة مغلق
إن كان لاشى دراهم
فالباطل أمضى من الحق

٣

الشرع إذا بات ليله
باتت حباله تقوى
والحرب إذا بات ليله
باتت حباله تنوا

٤

ذى ما يغارم ويغرم

له المنايا تشله
وما من الموت مهرب

٥

ما شغب إلا من أدبع
إذا ضرب صوت ما غار
وإن طبلوا ما تبرع

٦

ذى ما يجيب داعي الصوت
يدعي وما حد يجيبه
ومن يغيب ساعة الصدق
يغيب وما حد يرده

٧

ما عود وحده يلص
إلا بعودين مع عود
بين إخوتك مخطى
ولا وحدك مصيب

٨

من لا يؤمن جاره
لا يأمن على داره

٩

ما عون من بعد حلة
ينضح من البير ماها

١٠

معزّة بعد شهرين
مُجدّده كل الأحزان

١١

عزّ القبلي بلاده
ولو تجرّع وبهاها
يسير منها بلا ريش
ولا ملك ريش جاها

١٢

على يقول بن زايد
قولوا لمن باع ماله
من بلدة الناس يرحل
يرحل ويدحن جلاله

١٣

إذا مَعك جار مؤذى
الصبر والله يزيله

على يقول ابن زايد
 الجاه خير من المال
 فغارة المال تُبْطِى
 وغارة الجاه في الحال
 والمال إذا شل شلّه
 كفاك عن التجداى
 وقال حُمَيد ابن منصور
 الجاه ما هو على شي
 فالمال خير من الجاه
 والجاه ثوب مُصَبَّن
 إذا نزل سيل إهْجَاه

إن صاحبي مثل رُوحى
 وإلا فلا كان صاحب

يا ليت لى صاحباً جيّد
 مثل الشتا ليس يَخْلِف
 قاسيت أنا شور غيرى
 وجيت وقد شورى أوفق

والصاحب الجيد وسله^(١)
لحين تبدى بوادي
وحين ما تحتضى له^(٢)
يشرفك في البوادي
وفي السنين المحيله

١٧

أمسيت ما بين الاصحاب
مثل اللبن ليلة الصيد

١٨

يا حذراه يا روعى
من الصحب قبل الاعراس

١٩

كيف شرعكم يا أهل عمار
في الصهر والخال والجار
للصهر ميزه ومقدار
والخال في على الدار
والجار يُخطى علينا
وليس نُخطى على الجار

(١) وسله : دُخر .

(٢) تحتضى له : نحتاج إليه .

ولو قتل خيرة العول
وخيرة العول جسار

٢٠

يا خال لا ماتت امي
أيش أنت لي ؛ وايش انا لك
فقال تزوج بنتي أصير عمك وخالك

٢١

قتلت خالي بعمي
خوف العير والمناقيد

٢٢

الشوم على أهله حموله
والجيد حمال الأثقال

٢٣

لو كان خير ابن عمك
وطن الجبال ما ينالك^(١)
ما ينفعك ما مع اخوك
ولا سراجة يضى لك

(١) وطن الجبال : في وراڤ الجبال .

إحذر من الدُّين إنه يضرك
 أيضاً ولو كان الغريم سلطاناً
 وإذا مطلته ما تعب بهزرك
 أيضاً ويأخذ مسكنك والأوطان
 ولا تلقف للجميل صُرك^(١)
 إلا إذا فيك القضا والاحسان
 كما تحمل بالصنيع وقرك
 يجي القضا وإنك تبيت سهران
 وإذا تزوجت وطُن ايش صهرك
 ولا تغرك ساجيات الأعيان
 الحرمة الجنس الضعيف تترك
 أيضاً ولو هي مثل بدر شعبان
 فقلت يا قلب إن يطول هجرك
 الله له في كل ساعه شان

(١) الجميل : المعروف .

٢٦

لولا القضا عشت بالدين
ليل العيون يشقى النوم
ليل القضا يشقى الدين

٢٧

يقو أبو سعد يا غبنه ثلاثة غبون :
الغبن الأول لمن جارت عليه الديون
وغبن ثانى لمن قلّت رجاله يهون
وغبن ثالث لمن فارق كحيل العيون

٢٨

احذرك دين تشرك
إذا عرّض لحم بالدين
يجى القضا وانت مفلس
ولا يُبالى بهزرك

٢٩

معى ولد ما هنان
علّمته الرمى يرمى
واحكم ؛ وعاود رمان

٣٠

حربى وحرب ابن عمى

مثل الوجع في الصوابر
أو مثل مِقْرَانِه السبع
ما بين بَجْمَا وعاصر

٣١

يا ليت لي سبعة أخوة
سودان مثل العبيدا
سبعة بسبعة خناجر
من ظهر ابى كنت جيدا
أشمخ بهم في المحاضر
واخصم وظهري شديدا
واغزى بهم حين أريدا

٣٢

تعبت يا بازى البنت
أو ذي تقول يا حبيبه
منكسات العمايم
وجالبات المصبيه

٣٣

قتل البزى قبل يُكَبَّر
وقبل ما يملك امره
ولا كُبر عذب الخال

يا ولدى يا محمد
 معى لك أربع تواصى
 الأول طاعة الله
 والثانية في سلاحك من الورد لا يميل
 والثالثة في رفيقك
 قاتل معه قبل يُقتل
 والرابعة مراة الويل
 طلاقها قبل تحبل
 واذا ضرب ضارب الصوت
 ففر مع الصوت الأول
 من شان إذا شي جماله
 قالوا محمد تجمل

العار يا اولى المقاتيل
 العار على من وراهم
 الجدر دما غباره

يا من تعشي مع الضيف
 يصبح يدور غداهم

قال ابن خولان حقي صاحبي
ذی ما معه حق ما حد صاحبه

يا من بزا ولد غيره
فارق ودمعه همولا
ومن زرع مال غيره
بخرج وفيه السبولا

من قارب الكبير يحرق
والا امتلا من غباره
من قابض الناس يُقْبَضُ
إذا قُبِضَ ؛ لا يقول آخ
من كان ابوه يظلم الناس
كان القضا في عياله

يا من بنا يكوى الناس
بجمر حامى ؛ كوى به
ومن فرح لابن عمه
بناكبه فانها به

٤١

لا تملط الزجده وتقضي احضان
وصن قصور غيرك مئيد قصرك
من صان قصور الناس قصره إضتان

٤٢

لا عاد من لم يجازى
على الصنيعه صنيعة
وبالمغازى مغازى

٤٣

من هو مرة مرته
يضرب مرة جاره

٤٤

من إتزر قال قدّه جيّد
الجيّد من صان نفسه
من الحجج والمناقيد

٤٥

زلّيت في الدهر زلة
واديت مالى لغيرى
شريك سارق مزله
خلا المزابل موافر

ومذرب السيل جلّه
وإذا نظر مسبلى زّين
إذا مسّبه وشله

٤٦

الرد يا مالى الرّد
عاد المره بتتهرّد

٤٧

السرق يا مِهْرَة الويل
إذا خفى كيف لو بان

٤٨

يقول على بن زايد
من عادة الفقر الاحلاف
أمسيت من فقر ليله
زاني وسارق وحلاف

٤٩

قال ابن خولان حقى صاحبي
ذى ما معه حق ما أحد صاحبه

٥٠

صنعا اليمن باكيه حزينه
على الولد ذى سيروه رهينه

٥١

من لم يَصْبَحْ في الضميد ماله
صَبَحَ ومَسَا في القرا عياله

٥٢

من عَيْنُ بَيْن

٥٣

ما خَبرَ يخرج من تحت خَجَر

٥٤

من صاح : صبيان قومي
حَمَلُ بنى عمه اللوم

٥٥

للجاهل عاقل

٥٦

لا تُقل يا ملاء
وقل يا رجالاه

٥٧

يا جاريه يا سعادہ
رُدِّي لى الطير رديه
إن كان ذا الطير حائق

بالثور نعمان نرضيه
وإن كان ذا الطير جايح
بالبرّ والسمن نحقيه
وإن كان ذا الطير حافي
من جلد سعدان نحذيه
وإن كان ذا الطير عاطش
من صافي الخمر نسقيه
يا طير لا ترتع البرّ
ولا تُغَيِّرْ نباته
البرّ برّ ابن منصور
ذی لا رما الصيد فاته

٥٨

يا وارده يا ساعة الوراد
إذا الخبره جیاد
جبا لكم بالشاذليه
والغصون الدانيه
خوفى عليك برد الحقيقه
حين ترد الغايه
هيا معانا يا مهلا
شانوليك ارضنا
ونطلعك منظر معلّا
حيث أبو محسن بنا

حسبت مالى رجالى
وإن الرجال ذى هم المال
المال سود المفاقر
حين البلاء واعتكاره

ما رعى يدخل النار
بفضل ربى وجوده

ما ينفعك في عدوك
كثر المروء والاحسان

المال ما يأكله ذيب
ولا زينه تضره
إذا لقي من يمونه
وان يصادف ولد ويل
باعه وفاك رهونه

إبصرت جمال بن مرة
تقبل تغازل بالاحمال

نسيبنا يا بن مره
لو بعثنا ما بقى لك
الثور ياكل مع الثور
والبيت واحنا سبيلك
يا بنت قولى لأْمَشْ
اذا قُتل ابن مُرّه
من عاد يَبْدَى ويحكم

٦٤

ترفعوا عسكر القبله
ترفعوا جالكُم رفعان
يا ليت من هو معاهم سار
وفي المطارح يسايرهم

٦٥

قد جت لي اليوم غصّه
احنا نيزى نهلى
وغيرنا ذى يخصّه
إذا جرى جارى الموت
اصبح لمالى يقصّه
لا عدت يا بازى البنت
أو ذى تقول يا حبيبّه
مُنْكَسَات العمايم
وجالبات المصيبه

يا فرحتي يا سروري
 من حين شئت نسوري
 برّ انتعت من غراره
 حلفت لا يقسم الجرن
 واوثنه في قراره
 كثر الرجال نذاله
 شليت في الجرن شبرين
 شليت نصف المحاله
 يا عيتي من عيالي
 ذي ما يحمو من الشمس
 وهربوا للظلال

يومك مع من تغديت
 بالخص إذا قد تعشيت

من كان شيخه كتابه
 كان خطاه اكثر من صوابه

الحرب حامى وبارد
 في بارده ضربه بالسيف

والحار حرب الموائد

٧٠

لا تنقدوا شيب راسي
من الشموس حين نشغب
وانتى ولو شاب راسش
ما عاد ليش زوج يرغب
وأنا ولو شاب راسي
أخذت شوذى مكتب
لا تعبنى يا مليحه
ابن الحسين أحمد أشيب

٧١

طلعت صنعا المدينه
وانى بشوذى صغير
صغبرى جعده الراس
ردبت سلامى عليها
قالت سلامك على الرأس
وان كنت طالب زواجه
اذيت ما يدوا الناس
اذيت وقر البعيرين
من النمانم والأخراص

٧٢

خير المهر قَولت اسرح

٧٣

أول الحرب عدامه

ووسطها غرامه

وآخرها ندامه

وبعدها السلامه

٧٤

لا تبیع بکرتک بغدادک

ولا مرقدک بعشاک

في فلسفة الحياة

١

لو عاش الانسان ما عاش
اربعمائة طال عمري
لا بد من داعي الموت

٢

ما يأمن الدهر عاقل
ولو سبر واستوى له^(١)
الدهر مثل المخبث
ساعه وجعفر غباره

٣

لا تأمن الدهر لو طاب
إفعل على الحب بابين
أما العلف سبعة أبواب

(١) سبر : صلح .

٤

لا حول يا ملك الموت
ذى ما نجى منك هارب
حُميد قد جا المحجّه
والموت قد جا المقارب

٥

الدهر هَبّه بهبه
أيام واحنا نروح
وأيام ولو قلت حبه
وليله مرقدًا جِيد
وليله في الهجيه
ويوم وانا مصبح
ويوم قصًا وثره

٦

يا ولدى يا محمد
يا ألدّ من قال: يابه
أمسيت باربع قضايا
ما يدرى العبي ما هي
الأوله يا جماعه
مالى من الدهر ساهى
ما لى سوا عفو الهى
والثانيه لو درينا

قدّمت ما لى تجاهى
والثالثه ملك الموت
يجى والانسان لاهى
والرابعة يا جماعه
البخل شر الدواهى

٧

قد جالى اليوم غُصّة
احنا نبزى نهلى
وغيرنا ذى يخصه
وان جرى جارى الموت
أصبح لعالى يقصّة

٨

العقل مال المفاليس
ومال ذى ما معه مال

٩

يا حيرتى من زمانى
إمنت من حيث ما خاف
وخفّت من حيث امانى

١٠

آخر زمانى خياره
من حين شبّو عيالى

والمال ودا ثماره

١١

الناس مثل الغرائس
فمنه ما كان حالي
ومنه حامض ومُضرس

١٢

أما أنت يا سالي الهم
نوبك من الهم جالس

١٣

شيئت وأنا اتعلم
ما احد من الوقت يسلم

١٤

ما رزق يأتي لجالس
إلا لأهل المغارس
ومن قرى في المدارس

١٥

الدهر قلبه بقلبه
قلب مع الدهر حظك
واقلب مع الدهر تلقاه

ما شب إلا من أروع
 من علفه وسط بيته
 والحب مخزانه أرجع

متفرقات

١

حلفت يا لقاهره ما عاد اطاش
إلا بعسكر وخیاله معی
لا تحبسونی بضوران الظلام
غير احبسونی براس القاهره
لو تحبسونی في ذمرمر
فالقیود وقر الجمل

٢

يا طالعی ثبت منزل
يا مبكر آخر عشیه
سلم على جدۀ أُمی
تلك العجوز الصبیه
وقل لها قوتنا بر
رجحین دجر نظیہ

٣

يقول على قيس حلل واقوال

واقوال مثل الدرهم الوافى
موزون بالقفله وبالمثقال
إحكم بها يا عدل يا كافى
كفيتنا من زلة الجهال
واسقيتنا من حوضك الصافى

٤

سطحه من الما غنيمه
واذا قد نويت تشرب
فبارد الما سمينه

٥

محبتك في وسط قلبى
مهله مثل غصن الفيل
من حُبكم قد نبت ريحان
ولا ذرينا ولا سقيننا
من حُبكم بين أسير حافى
واطأ السنف واحسبه عُثرب

٦

يا طالع الحَيْد يا ذاك
هَبْ لى من الحَيْد مسواك
من العِشاش المظله
والفى صلواتى على احمد

تزور شيبه محمد
في القبر عرضه وطوله

٧

أوحيت صوتك وأنا راس الجبل
وأوطيت بين السداه في شجاك

٨

يا ليت لك يا مغنى
من سايرك واجبا لك
ويدي البيت والعال
أما الغنم كلها لك

٩

يا جنتاه يا هذه النيه
بهذه الكوفيه
شربتها بالفين نقديه
قروش المالیه
وما أُمى داريه
قد عالجوا بالجعفریه
وأوصلونى جاريه
وزادوا لى ميه

١٠

البيت المراه

والحَبُّ الذره
والمال الرجال
إرحب يا حلال

١١

بالله ياذا الْمُغْنَى ما غِنَاكَ
هو ضيق أو لا سلا في خاطرك
حلفت ما ديب اغْنَى غير ضيق
والأ قد ابواب قلبى مغلقة

١٢

صاحبت انا جملة الناس
ما صحبه الا لمتّاش
وصحبة الجابرى لاش
اذا لنا جربة الكيل
واذا الخضر هو ونواش
اذا من السود بازل
واذا من البيض نواش

١٣

يا حضرميه في يد الدلال
مرسومه بمال
ما ياخذك غير صاحب مال
اصل من عدّ القفال

١٤

قطعت جرن الجلاحة
أما حميد ابن منصور
عاده يدور ملاحه

١٥

يا جاعره زينش الزين
يا حارسه بين فلين

المحتويات

مقدمة بقلم الأستاذ عبد الله البردوني	٥
من أغاني الحرث والبذر	٤٧
نظرات اجتماعية	٧٥
في فلسفة الحياة	٩٧
منفردات	١٠٥

- اعتمد الكتاب في تدوين أقوال علي بن زايد علي ثلاثة مصادر أساسية :
- ١ - كتاب المستشرق السوفيتي أناتولي اغارتشيف .
 - ٢ - مجموع الأستاذ علي أحمد أبو الرجال (مطبوع على الآلة الكاتبة) .
 - ٣ - مجموع الأستاذ محمد الربيع (منسوخ على ورق قديم العهد) .

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

رفع وتصوير